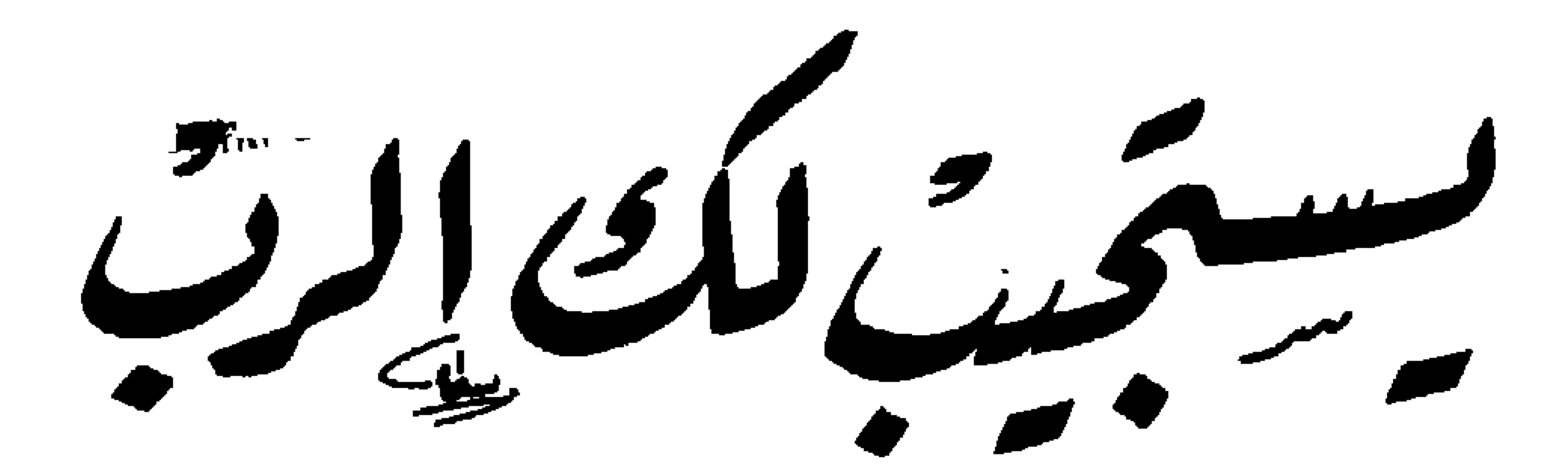
البابا شنوده الثالث

ليستجيب لك الرب

البابا شنوده الثالث



تأملات فى مزمور ١٩ (٢٠)

أول مزامير الساعة الثالثة

CONTEMPLATION ON PSALM 20

(The Lord hear three)

BY H.H. POPE SHENOUDA III

January 1994

7th Print

يناير ١٩٩٤

الطبعة السابعة



قداسة البابا شنوده الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

تصدير

كنت مسافراً إلى لندن فى أواخر يناير سنة ١٩٦٩ لحل مشكلة خاصة بأحد الخدام ، حينما كنت أسقفاً للتعليم .

وسافر هذا المزمور معى ...

كان مصدر تأملات لى فى الطائرة ، وفى انجلترا ، وفى القاهرة ، وفى ألمانيا أثناء مرورى عليها فى عودتى .

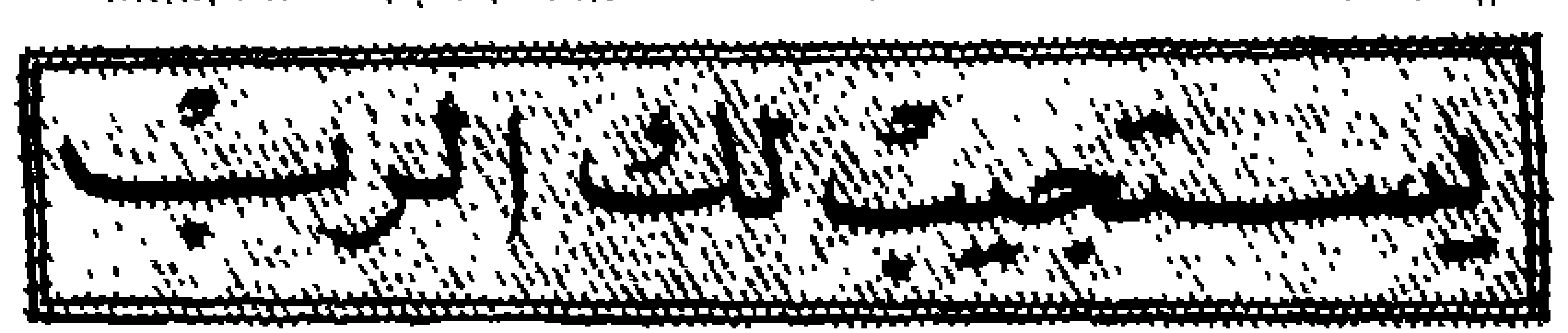
ثم ألقيت هذه التأملات فى الكاتدرائية الكبرى ، على ثلاث دفعات ، إلى جوار المحاضرة الروحية الأساسية .

وكان ذلك فى أيام الجمع ٢٦ فبراير ١٩٦٩ ، ٥ مارس ١٩٦٩ ، ١٢ مارس ١٩٦٩ . ثم ألقيت بعد ذلك تأملات فى المزمور ٢٢ (٢٣) « الرب يرعانى » ثانى مزامير الساعة الثالثة .

وأخيراً سمح الله لهذه التأملات أن تنشر .

أضعها أمامك ، لتكون معك فى صلواتك الخاصة ، وأنت تصلى مزامير الساعة الثالثة .

شنوده الثالث



المزمور التاسع عشر "مزمور ٢٠"

يستجيب لك الرب

يستجيب لك الرب في يوم شدتك
ينصرك إسم إله يعقوب
يرسل لك عوناً من قدسه ، ومن صهيون يعضدك .
يذكر جميع ذبائحك ، ويسمن محرقاتك
يعطيك الرب حسب قلبك ، ويتم كل مشورتك
نعترف لك يارب بخلاصك ، وباسم الهنا ننمو
يكمل الرب كل سؤالك .
الآن علمت أن الرب قد خلص مسيحه
واستجاب له من سماء قدسه ، بجبروت خلاص يمينه
هولاء بمركبات ، وهولاء بخيل ، ونحن باسم الرب إلهنا ننمو
هم عثروا وسقطوا ، ونحن قمنا واستقمنا
يارب خلص ملكك ، واستجب لنا يوم ندعوك ""

هلليلويا

مزمور [يستجيب لك الرب فى يوم شدتك] ، هو من المزامير المعزية التى تملأ القلب رجاء ، وتشعره أن الله معك .

كل هؤلاء يرتلون لك

تصور أن هناك **ملاكاً من السماء** ، يخاطبك و يقول لك : يستجيب لك الرب فى يوم شدتك . استمع إلى هذه العبارة من فم ملاكك الحارس ...

تخيل أن **داود النبى** ، وهو فى فردوس النعيم ، يبعث إليك رسالة خاصة ، يقول لك فيها : لا تخف ولا تضطرب فى كل ضيقاتك ، يستجيب لك الرب فى يوم شدتك .

تصور أن هذه العبارة المعزية ، آتية إليك من الله ، على فم أى **إنسان مرسل من السماء** . أو هى عبارة صادرة إليك **من أرواح القديسين** .

تخيل أن **الكتاب المقدس نفسه** يقول لك : يستجيب لك الرب فى يوم شدتك ... فى وسط متاعبك ، فى وسط اضطرابات الحياة من حولك ، الله ينظر إليك ، و يرى ، و يستجيب ...

اعتبر أن هذا المزمور هو رسالة سلام من الكنيسة إليك ، رسالة عزاء من الكنيسة إليك ، رسالة تطمئنك وتفرح قلبك .

تخيل أن أحد الآباء الكهنة يصلى على رأسك ، و يقول لك هذه البركة « يستجيب لك الرب فى يوم شدتك » .

أشعر أنها وعد من الله موجه إليك فى وقت الصلاة ، كعبارة عزاء ورجاء وتشجيع . وعد صادق أمين من وعود الله ، يقول لك فيه الوحى الإلهى « يستجيب لك الرب فى يوم شدتك ، ينصرك إسم إله يعقوب » .

أو على الأقل يمكنك أن تعزى نفسك ، وتخاطب نفسك ، وتقول لقلبك الذى ينتظر معونة « يستجيب لك الرب » ... تماماً مثلما كان داود النبى يخاطب نفسه و يقول لها : لماذا أنت حزينة يا نفسى ؟ ولماذا تئنين فى داخلى ؟ إتكلى على الله ...

قل هذا المزمور بكل إيمان . وشجع به نفسك فى وقت الضيق ، حتى لا تيأس ولا تتضايق ولا تتعب . شاعراً أنه كما أن عبارات هذا المزمور قد تحققت فى الماضى ، هى أيضاً تتحقق اليوم وفى كل حين ، ومع كل مؤمن فى ضيقه ...

هذا المزمور يمكن أن تصليه أيضاً من أجل أحبائك ...

تصليه من أجل غيرك من الناس ... تعرف أن إنساناً ما فى شدة ، فتقف أمام الله ، كما لو كنت توجه هذا الكلام إلى نفس ذلك الإنسان ، وتقول له « يستجيب لك الرب فى يوم شدتك » ... إنها عبارة دعاء منك إلى كل نفس متعبة ، تطلب لها من الرب معونة .

يستجيب الرب لصلاتك ، لصومك ، لنذورك ، لتذللك ...

كما استجاب لصلوات وأصوام وتذلل أهل نينوى ، وكما استجاب لصلوات وأصوام وتذلل أستير وشعبها ... والأمثلة كثيرة .

دموعك أمام الله محجوزة ومخزونة فى زق عنده ، لا ترجع فارغة ، بل يستجيب لها الرب ، كما استجاب لدموع القديسة مونيكا أم أوغسطينوس ، وكما استجاب لدموع حنه ولنذرها ، ومنحها إبناً هو صموئيل .

إذن اطمئن ، إن الله لا يتغير . فكما عامل هؤلاء ، سيعاملك أنت أيضاً . آمن برحمته وحنانه وحبه ، وسترى منه عجباً .

إن كان الله يستجيب فى كل حين ، فبالحرى فى وقت الشدة ، حينما يكون الإنسان محتاجاً ولا عون له . لذلك فإن الكنيسة تصلى لأجل جميع الذين هم فى شدة .

تصلى من أجل الذين فى المطابق وفى السجون ، والذين فى السبى أو فى النفى ، والمقبوض عليهم فى عبودية مرة ... وتصلى من أجل كل نفس متضايقة ، ومن أجل المرضى والمسافرين ...

تصلى من أجل صغيرى القلوب ، ومن أجل الذين فى العاصف ، لكى يكون الرب عزاء لهؤلاء ، وميناء لأولئك .

وتصلى من أجل العاجزين والمنقطعين ، والذين ليس لهم أحد يذكرهم . تقول للرب « ياعون من لا عون له ، و يارجاء من ليس له رجاء » . وتقول لكل إنسان متضايق ، عبارة المزمور « يستجيب لك الرب فى يوم شدتك » ...

إنه مزمور من داود . ومزمور أيضاً من أجل داود .

يقول بعض المفسرين : إنه نشيد كان يقال للملك ، وهو ذاهب إلى الحرب .

يرتل له الكهنة هذا المزمور ، و يرتل له الشعب ، كمباركة من الجميع للملك ، أو كدعاء له أن يكون الرب معه ، و يستجيب له و ينصره ...

وأنت أيضاً ملك ، ولك حروب ...

أنت تملك هذا الفكر ، وهذا القلب ، وهذه النفس ، وهذه المشاعر ، وهذا الوقت ، وهذه الحياة . ولك فيها حروب ولك فيها شدة ...

جميل أن نرى الشعب يصلى لأجل الملك . **والكنيسة تفعل هكذا باستمرار، فتصلى من أجل الرؤساء** . و بولس الرسول يدعو للصلاة من أجل كل من هو فى منصب (١تى ٢ : ٢) ، فيقول له « يستجيب لك الرب فى يوم شدتك » ...



عندما نقول فى صلواتنا « يستجيب لك الرب فى يوم شدتك » ، نشعر حتماً أنه توجد شدة أو شدائد .

أى أن حياة المؤمنين والقديسين ، ليست سهلة على الدوام ، أو كلها فرح و يسر وهدوء ! كلا ، على العكس ، فيها تجارب ومتاعب ...

وكما يقول الكتاب « كل الذين ير يدون أن يعيشوا بالتقوى فى

المسيح يسوع ، يضطهدون» (٢تى ٣ : ١٢) . والرب قد دعانا أن ندخل من الباب الضيق ، ونسير فى الطريق الكرب ، وقال لنا « فى العالم سيكون لكم ضيق » (يو١٦ : ٣٣) .

ولكن فى وسط هذا الضيق ، توجد كلمة معزية ، وهى : يستجيب لك الرب فى يوم شدتك ، ينصرك إسم إله يعقوب ...

قد يقول إنسان : وهل يليق بى - كإنسان روحى - أن أطلب الله فى يوم الشدة والضيق . ألا يعنى هذا ، أنه لولا الشدة والضيق ما كنت قد طلبت الله ؟!

والمفروض فى العلاقة بينى وبين الله ، أن تكون علاقة حب ، وليست علاقة طلب فى وقت الشدة !

والإجابة إن هذا مستوى عالٍ ، لا نفترض أن الجميع قد وصلوا إليه ، بينما الديانة لجميع مستويات الناس ، وليست فقط للصفوة النادرة الممتازة . ومع ذلك ، فإن وقع الإنسان الروحى فى شدة ، فمن يطلب ؟ أليس من الله ؟!

وعلاقة الحب لا تمنع الطلب . فالإبن يطلب من أبيه الذى يحبه .

والرب نفسه قال « أطلبوا تجدوا » . ومن جهة الضيق قال أيضاً « ادعني في وقت الضيق ، أنقذك فتمجدني » [مز ٥٠ (٤٩) : ١٥] .

وكل القديسين طلبوا الرب في ضيقاتهم ، فاستجاب لهم الرب .

وليس عيباً على الشخص الروحي أن يطلب . بل إن السيد المسيح عاتب تلاميذه القديسين على عدم طلبهم ، فقال لهم « إلى الآن لم تطلبوا شيئاً بإسمي . اطلبوا تأخذوا ، لكي يكون فرحكم كاملاً » (يو ١٦ : ٢٤) .

الله يستجيب لنا وقت الشدة . ولكن ما موقف الله من حلول الشدائد على أولاده ؟

إن الله لا يمنع الشدة عن أولاده ، ولا يمنع التجربة والضيقة . ولكنه يعطي انتصاراً على الشدائد ، ويعطي احتمالاً وحلاً ...

الله لا يحابي أولاده ، بأن يبعد عنهم التجارب والضيقات . بل هو يسمح بها ، و يعطي معها عزاءً وصبراً ومعونةً . وفي عمق الشدة ، يربت ملاك على كتف المؤمن ، و يقول له : لا تخف يا حبيبي . هذه

الشدة سوف لا تنتصر عليك ، وإنما « يستجيب لك الرب فى يوم شدتك » ...

الله سيسمع صلاتك ، ينصت إلى خفقات قلبك . إنه يعرف متاعبك أكثر منك ، وسيستجيب لك .

ولا ننسى أيضاً أن التجارب والضيقات لها فوائدها ...

تصوروا يا إخوتى الأحباء أن القديس العظيم الأنبا بولا أول السواح ، ليس له فى بستان الرهبان كله سوى عبارة واحدة فقط ، وهذه العبارة هى : قال القديس الأنبا بولا السائح :

« من هرب من الضيقة ، فقد هرب من الله »

لأنه يهرب من الفضائل ، التى يريد الله أن يمنحه إياها عن طريق الضيقة .

لذلك لا تطلب من الرب أن يرفع عنك الضيقة ، إنما أن يعطيك بركتها .

أطلب منه أن يجعل الضيقة تنتهى بخير ، و يعطيك فيها صبراً وقوة ، و يعطيك الفائدة التى تعينها حكمته من وراء الضيقة . وفى الواقع أنت لا تعلم ما هو المفيد لك : أن ترتفع الضيقة أم تبقى ...

وهذا يجعلنا نسأل : ما هو المقصود من كلمة « يستجيب لك الرب » ؟



« يستجيب لك الرب » معناها انه يصنع معك خيراً ...

يحل إشكالاتك ، يرتب لك أمورك ، يعطيك ما ينفعك ، سواء كان ما ينفعك هو الشيء الذى تطلبه ، أو كان متغيراً عنه بعض الشيء ، أو كان عكسه تماماً ... فما معنى هذا ؟ معناه أن تذكر هذا المبدأ الروحى :

إن الله يعطيك ما ينفعك ، وليس ما تطلبه ، إلا إذا كان ما تطلبه هو النافع لك ... وذلك لأنك كثيراً ما تطلب ما لا ينفعك ...

فإن كنت تطلب ملكوت الله ، فلا بد أن يستجيب لك الرب . لأن هذا الملكوت يتفق مع إرادة الله ، وهو نافع لك ة أقول هذا لأن كثيرين لهم طلبات لا علاقة لها بالملكوت ، وقد تكون ضارة بهم ، وقد تكون ضد مشيئة الله . وسنضرب لذلك أمثلة ...

بولس الرسول طلب أن يرفع الرب عنه شوكة أعطيت له ف

الجسد (٢ كو ١٢ : ٧ ـ ٩) . فأعطاه الرب ما ينفعه ، وليس ما كان يطلبه . وكان الأنفع له أن تبقى هذه الشوكة ، لئلا يرتفع من فرط الإعلانات . ولو أنقذه الرب من تلك الشوكة ، ما كان ذلك فى صالحه روحياً ...

فى إحدى المرات وقع راهب فى ضيقة شديدة . وظل يصلى أن يرفع الرب عنه تلك الحرب . **ومن أجل لجاجته رفع الرب الحرب عنه . وإذا به يسبح فى الخيلاء والمجد الباطل . فذهب إلى أبيه الروحى ، وقص عليه قصته . فقال له « إذهب يا ابنى ، واطلب من الرب أن يرجع لك التجربة ، ولكن يعطيك فيها معونة وقوة لكى تنتصر ، لأن التجارب مفيدة للإنسان ... لذلك فإن عبارة « يستجيب لك الرب فى يوم شدتك » ليس معناها على الدوام زوال الشدة ...**

إن استجابة الرب ليست مطلقة حسب طلباتنا ، وإلا كان معنى هذا أن نسيِّر الإرادة الإلهية وفق هوانا !!

فى الواقع إذا أردت أن يستجيب لك الرب ، ينبغى أن تطلب حسناً ، وتكون طلبتك موافقة لمشيئته . ومعلمنا يعقوب الرسول يقول :

« تطلبون ولا تأخذون ، لأنكم تطلبون ردياً » (يع ٤ : ٣)

حتى فى حياتنا اليومية ، وفى علاقاتنا مع الناس ، كثيراً ما نطلب طلبات نظنها نافعة ، وتكون ضارة بنا . وسأضرب لكم بعض أمثلة :

* قد يتعبك ضرسك مثلاً و يؤلمك جداً ، فلا تحتمل ، وتذهب إلى الطبيب وأنت فى شدة الألم ، وتقول له « أرجو أن تخلع لى هذا الضرس ، لأنه يؤلمنى جداً » ... ولكن الطبيب الحكيم قد لا يستجيب لطلبك ، و يرى الإبقاء على الضرس . وكل ما يعمله أنه ينظفه ويحشوه ، و ينقذك من الألم ، و ينقذ الضرس أيضاً ، و يكون قد فعل بك خيراً أكثر مما تطلب . وتخرج شاكراً جداً ، مع أنه لم ينفذ طلبك ...

أما كان الأفضل لك ، أن تطلب من الطبيب أن يريحك من الألم ، دون أن تحدد له الطريق والطريقة ، وإنما تترك الأمر لحكمته ، وهو يدبرك بعناية وحب ، فيما أنت مستسلم لعمل عنايته ؟!

* مثال آخر : قد تصاب بحرق ، فتذهب إلى طبيب ، وتقول له « أرجو أن تضع لى مرهماً على هذا الحرق وتربطه » و يرى الطبيب أن تهوية العضو المحروق أفضل من ربطه ، فلا يربطه ...

أتشكو من أن الطبيب لم يستجب لطلبك ؟! كلا ، لقد استجاب ، ولكن بحكمة . لست أنت الذى ترشده إلى الحل ، بل

هو الذى يرشدك ...

كذلك الله : تطلب منه الطلب ، فبكل رحمة وحب يستجيب لك ، ولكن بالوسيلة التى يراها ، وفى الموعد الذى تحدده حكمته . هو يعرف النافع لك . وفى كل مرة تطلب ، يقول لك : قد سمعت لطلبتك ، وسأعطيك ، إنما اتركنى أتصرف ...

اطمئن إذن ، واصبر ، ولا تفرض على الرب عقليتك . لا تطلب الطلب ، وتحدد الوسيلة والوقت ، وتدخل فى التفاصيل !!

لا تقلق . إن الله حتماً سيستجيب لك فى يوم شدتك ، ولكن بطريقته وليست بطريقتك . إلا لو كانت طريقتك هى طريقته ...

* مثال آخر للطلبات الخاطئة ، وقد صدرت من قديسين !!

ابراهيم أبو الآباء ، لما يئس من أن يأتى له من سارة نسل ، طلب إلى الرب قائلاً « ليت اسماعيل يعيش قدامك » (تك ١٧ : ١٨) .

وكان طلب ابراهيم أبى الآباء والأنبياء ، ضد مشيئة الله ... !

لذلك لم يستجب له الله ، ورد عليه « بل سارة امرأتك تلد لك إبناً ... وأقيم عهدى معه » ... لقد استجاب الله لإبراهيم من جهة

اعـطـائـه نـسـلاً ، ومباركته لنسله ، وإعطائه العهود والمواعيد ... ولكن ليس بالأسلوب الذى اقترحه ابراهيم ...

*** يونان النبي أيضاً ، طلب من الله طلباً ردياً ، فلم يستجبه !**

كـان يـونـان قـد نـادى بهـلاك نينوى ، وتابت نينوى ، وقبل الله تـوبتهـا فـلـم تهـلك . وحزن يونان لأن كلمته قد سقطت . وطلب من الرب قائلاً « فالآن يارب خذ نفسى منى ، لأن موتى خير من حياتى » (يون ٤ : ٣) ، وكرر يونان الطلب مرة أخرى (٤ : ٨) .

ولم يـسـتـجـب الله لـيـونـان ، فلم يأخذ نفسه منه ، إذ لم يكن فى صـالحـه أن يترك العالم فى هذه الحالة من التذمر والغم ، والتمركز حول الذات ، والمعارضة لمشيئة الله ، والحزن عند خلاص الناس !!

ومع أن الله لم يستجب لحرفية طلب يونان ، إلا أنه فى الواقع استجاب للطلبة الحقيقية التى فى أعماق نفسه ...

كـانت عبارة « خذ نفسى منى » ، معناها « أنا حزين ، وأريد أن أعاتبك لكى تصالحنى » . وفعلاً صالحه الله ، ولم يأخذه بحرفية هذه الطلبة الردية التى قالها فى حالة غم ...

فـلا تتضايق إذا طلبت من الله طلبة وشعرت أنه لم يستجبها . ربما

تكون استجابتها فى عدم استجابتها ...

* نضيف إلى مثالى ابراهيم و يونان ، مثال بولس الرسول ، لما طلب من الرب أن يرفع عنه شوكة أعطيت له فى الجسد ...

* بنفس الوضع ، قد تطلب من الرب لأجل شفاء مريض ، ولا يشفى بل يموت . لا تتضايق وتظن أن الله لم يستجب فى وقت الشدة !

ربما ملائكة كثيرون ممسكون بالأكاليل ، كانوا ينتظرون خروج نفسه من هذا العالم الباطل ، لكى يزفوها إلى الفردوس . وأنت تريد بصلواتك أن يظل هذا المريض مربوطاً بالعالم !!

وكما فرح الله وملائكته بانتقال هذا المريض إلى الفردوس ، لأن «ذلك أفضل جداً» (فى ١ : ٢٤) ، فرح هو نفسه لما خرج من الجسد ، ووجد أن الوضع الذى صار فيه أسمى وأبهى بكثير ، واستراح إلى الأبد من آلام الجسد ... وفى نفس الوقت فرحت نفوس الأبرار باستقباله ، وهنأته على أنه أكمل جهاده على الأرض .

ووسط هذا الفرح ، بقيت أنت الحزين ، لأن صلواتك لم تستجب !! بينما كانت استجابتها فى عدم استجابتها ...

يجب أن تؤمن أن الله أحن علينا من أنفسنا ، وهو أدرى

بالنافع لنا ... كثيراً ما يكون الحنان الذى فى قلوبنا حناناً أرضياً ، له مقاييسه البشرية التى تختلف كثيراً عن المقاييس الإلهية ، العميقة فى حبها ، وفى حكمتها ...

ياليت طلباتنا التى نطلبها من الله ، تكون موافقة لمشيئته الإلهية الصالحة . وليتنا أيضاً لا نثق كثيراً بفهمنا البشرى .وفى كل مرة نرى أن طلباتنا لم تستجب ، ندرك أن وراء هذا حكمة إلهية ، إن لم نفهمها الآن فسنفهمها فيما بعد ...

إن الكتاب المقدس مملوء بأمثلة لاستجابة الرب فى يوم الشدة ، نذكر من بينها على سبيل المثال :

دانيال ، حينما ألقوه فى جب الأسود .
الثلاثة فتية ، حينما ألقوهم فى أتون النار .
يونان ، وهو فى جوف الحوت ، وقد صلى إلى الرب .
موسى والشعب ،وهم أمام البحر الأحمر ، والعدو خلفهم .
استير ، وهى داخلة للقاء الملك احشويرش .
ايليا النبى ، فى وقت المجاعة ، وفى مطاردة ايزابل له .
داود النبى ، يطارده شاول الملك طالباً نفسه .
يوسف الصديق ، فى البئر ، وفى التجربة ، وفى السجن .

بطرس الرسول ، وهو فى السجن منتظراً مصيره .

إلى غير ذلك ، من الأمثلة التى لا تحصى ، والتى تحقق فيها قول المزمور « يستجيب لك الرب فى يوم شدتك » ...

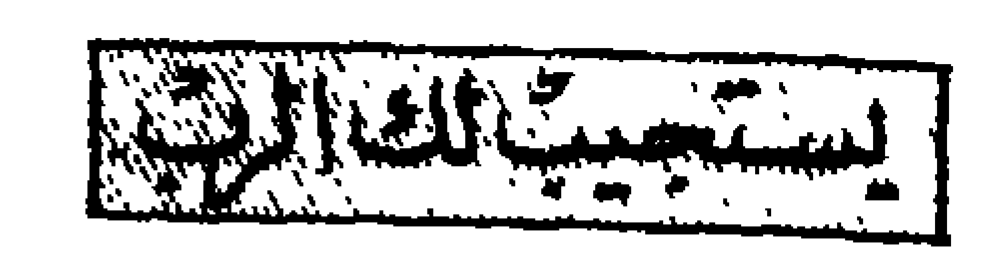
وما أكثر الأمثلة أيضاً فى التاريخ وفى حياة الأفراد .

من الصعب أن نحصيها ، ولكننا نذكر من بينها :

القديس أثناسيوس الرسولى ، وهو هارب ومختف لأجل الإيمان ، أو وهو قائم أمام مجمع عقده الأريوسيون فى صور ، لمحاكمته ، موجهين إليه تهماً مزورة ، ومقدمين شهوداً كذبة ...

أو القديس الكسندروس بطريرك القسطنطينية ، وقد أمره الإمبراطور بقبول أريوس فى شركة الكنيسة ، فقضى الليلة هو وبعض القديسين فى الصلاة ... ومات أريوس فى تلك الليلة ، إذ انسكبت أحشاؤه فى مرحاض عمومى ... واستجاب الرب فى يوم الشدة .

الأمثلة فى هذا المجال ، تحتاج إلى كتاب خاص ، يجمع فيه أحد الأحباء قصص الإستجابة فى تاريخ الكنيسة ، أو فى قصص القديسين ، أو فى حياة أفراد من الشعب ، ويكون كتاباً للتعزية ولتثبيت الإيمان ...



يستجيب لك الرب

الرب هو الذى يستجيب لك ، وليس الذراع البشرى .

وقد أدرك داود النبي هذه الحقيقة فقال « الإتكال على الرب ، خير من الإتكال على البشر . الرجاء بالرب خير من الرجاء بالرؤساء » (مز١١٧) . وركز على الرب ، فقال « الرب لى معين ، وأنا أرى بأعدائى . يمين الرب صنعت قوة ، يمين الرب رفعتنى » (مز١١٧) .

إن الرب هو الذى يستجيب و يعين و ينقذ ، لذلك قال الكتاب :

« ملعون الرجل الذى يتكل على الإنسان ، ويجعل البشر ذراعه » (أر١٧ : ٥) .

إن وقفت وحيداً فى كل شدائدك ، وإن تركك الأصدقاء والأحباء ، فلا تتضايق ، « يستجيب لك الرب فى يوم شدتك » .

إن أبانا ابراهيم ، لما (تأخر) عليه الرب فى الإستجابة ، ولجأ إلى طرق بشرية مثل هاجر (تك ١٦) ومثل قطوره (تك ٢٥) ، لم يستفد من كل تلك الطرق شيئاً . و يوسف الصديق ، وهو فى السجن ، لما

لجأ إلى معونة رئيس السقاة ، وطلب إليه أن يذكره أمام فرعون (تك ٤٠ : ١٤) يقول الكتاب إنه نسيه (تك ٤٠ : ٢٣) .

إن الإستجابة هي من الرب ، ومن الرب وحده ...

إنما في استجابة الرب لك وقت الشدة ، تتذكر أمرين :

أ ـ أطلب ما يتفق ومشيئة الله ، لكي يستجيب لك الرب .

ب ـ تذكر أمثلة من استجابة الرب لأولاده ، لتثق وتتعزى .



من الجائز أن يكون وقت الشدة هو وقت الضيقة ، وقت الألم ، أو ساعة التجربة ...

ومن الجائز أن يكون يوم الشدة هو يوم الموت ...

ومن الجائز أن تكون الشدة ، هي ساعة الوقوف أمام الديان العادل ، يوم الدينونة .

في ضيقتك الرب يذكرك ، وبخاصة إن لم يكن هناك حل .

كلما تتعقد الأمور ، ويبدو أنه لا مخرج ، ينظر الرب ، ويريك أنه توجد عنده حلول كثيرة . وقد جرب داود النبي هذه الشدة فقال :

« أبث لديه ضيق ، عند فناء روحي مني ... في الطريق التي أسلك ، أخفوا لي فخاً . تأملت عن اليمين وأبصرت ، فلم يكن من

يعرفني . ضاع المهرب مني ، وليس من يسأل عن نفسي . فصرخت إليك يارب ، وقلت أنت هو رجائي وحظي في أرض الأحياء . انصت إلى طلبتي ، فإني قد تذللت جداً » (مز ١٤١) .

إن عبارة (شدة) تشمل كل محاربات الشياطين والناس الأشرار:

تلخصها الكنيسة في قولها « كل حسد ، وكل تجربة ، وكل فعل الشيطان ، ومؤامرة الناس الأشرار ، وقيام الأعداء الخفيين والظاهرين ، انزعها عنا وعن سائر شعبك ... » .

وضربات الشيطان لا تحصى ، وهو كأسد يزأر ، يجول ملتمساً من يبتلعه (١ بط ٥ : ٨) . يضرب ضربات اليمين ، وضربات اليسار ، يحارب الجسد بالشهوات ، كما يحارب العقل بالأفكار ، ويحارب الروح بالتجاديف والشكوك ، ويحارب بكل عنف ، و بلا رحمة . وفي كل حروبه تقف الكنيسة إلى جوار كل إبن من أبنائها ، تهمس في أذنيه « يستجيب لك الرب في يوم شدتك » .

كذلك في الدسائس والمؤامرات التي تقوم على الناس .

تلك التي صرخ منها داود قائلاً « يارب لماذا كثر الذين يحزنونني . كثيرون قاموا عليّ . كثيرون يقولون لنفسي : ليس له خلاص بإلهه »

(مز٣) . فى كل هذا يستمع هذه العبارة المعزية « يستجيب لك الرب فى يوم شدتك » ، فيجيب داود « الرب ناصرى ، لا أخاف من ربوات الجموع المحيطين بى القائمين علىّ » .

ووقت الشدة ، قد يكون أيضاً ساعة خروج الروح من الجسد ... وأى شدة ؟!

فى ساعة خروج الروح من الجسد ، هناك من يقول « يارب ارحم ، يارب اغفر ، يارب اصفح ، يارب سامح ... » ... إن مصيره سيتقرر ، وفترة اختباره قد انتهت ، لذلك يقول هذه الطلبة من كل قلبه ، من عمق أعماقه ، بكل صدق ، بكل توبة ... و يستجيب له الرب فى يوم شدته .

وهناك من يطلب نفس الطلبة ، ولا يستجاب ، لأنها ليست طلبة جدية ، وليست من القلب ، وليست عن توبة . والله يعلم جيداً أن حياة هذا الإنسان لو امتدت على الأرض ، لبقى فى خطاياه ...

ومن الجائز أن يكون يوم الشدة ، هو يوم الصراع مع الخطية ...

يوم تأتيك فيه الشدة من داخلك ، وليس من الخارج ، من فكرك ، من قلبك ، من حواسك ، من شهواتك ، من طبعك ... أو قد تأتيك من الداخل والخارج معاً : فى الخارج حروب وعثرات ، وفى

الداخل قبول واستجابة ، أو فى الداخل ضعف واستسلام وعدم قدرة على المقاومة ...

وقد يكون يوم الشدة ، هو يوم كبر يائك واعتزازك بنفسك ، أو يوم شكوكك ، أو يوم فتورك ... هو يوم شديد عليك روحياً ...

فى هذه كلها تحتاج إلى معونة من فوق ، تحتاج إلى نعمة تسندك ، وقوة من الروح القدس .

تحتاج إلى صلوات قديسين كثيرين تسندك فى جهادك وفى صراعك ، لكى تقاوم حتى الدم ، مجاهداً ضد الخطية (عب ١٢ : ٤) ، عالماً أنك لا تجاهد وحدك ، وإنما الرب معك فى يوم شدتك حتى لا تسقط ...

ومن الجائز أن تؤخذ هذه الطلبة بمعنى آخر...

فعبارة « يوم شدتك » قد تعنى الحياة كلها ، إن كانت كلها ألماً .

إن السيد المسيح نفسه ، قد قيل عنه إنه « رجل أوجاع ومختبر الحزن » (أش ٥٣ : ٣) ، « أحزاننا حملها ، وأوجاعنا تحملها » . ولم تفارقه الشدائد أبداً .

على أية الحالات ، أياً كانت الشدة ، نوعها ، أو مدتها ، فاطلب الرب وهو يستجيب لك فى يوم شدتك .

ومن جهة الرب ومشاعره المملوءة حنواً من نحو البشر ، ما أجمل قول الكتاب :

« فى كل ضيقهم تضايق ، وملاك حضرته خلصهم »
(أش ٦٣ : ٩)

ملاحظات على الإستجابة :

١ ــ أول نصيحة نقدمها لك ، لكيما تصل إلى الإستجابة هى :

إعمل ما يساعد على الإستجابة ، إذ لا شك عليك دور :

لا تنم مغمضاً عينيك ، ثم تصرخ « يارب استجب » ، إنما اعمل مع الله ، لأجل نفسك ، فتتم الإستجابة ... قد تطلب وتعاتب الرب ، لماذا لم يعمل ، و يكون السبب هو أنك أنت لم تعمل معه ...

إن استجابة الرب لك ، ليس معناها تراخيك وتكاسلك ...

جاهد إذن واتعب . إبذل كل ما تستطيع . إعمل مع الله . إشترك مع الروح القدس . سلم إرادتك كلها . واذكر قول الكتاب :

« ملعون من يعمل عمل الرب برخاوة » (أر ٤٨ : ١٠)

لذلك فى بعض الأحيان يكون عدم الإستجابة ، ليس سببه الله ، وإنما نحن . نحن الذين كنا السبب فى وقوعنا فى الشدة بتصرفاتنا الخاطئة . ونحن الذين كنا السبب فى عدم الإستجابة ، بعدم وضعنا أيدينا مع الله فى العمل للخروج من هذه الشدة . لم نكن أقوياء

القلب ، ولا أشداء فى الإيمان ، ولا نشطاء فى العمل الإلهى . لم نسهر معه ساعة واحدة ، ولم نلق شباكنا فى الأعماق كما أمر ، ولم نسر معه تحت السحابة ، ولم نلطخ أعتاب أبوابنا بدم الفصح كما أمر ، ولم نلبس سلاح الله الكامل (أف ٦) .

٢ ــ ربما تحتاج الإستجابة أحياناً إلى صبر وانتظار للرب ...

قد يكون الله قد حدد وقتاً للإستجابة ــ حسب حكمته ــ ولم تأت ساعته بعد . وعلينا أن ننتظر ، ولكن ليس فى قلق أو ضيق أو يأس ، وإنما كما قال داود النبى « إنتظر الرب . تقو ، وليتشدد قلبك ، وانتظر الرب » . وقد حكى خبرته الشخصية فى ذلك فقال « انتظرت نفسى الرب من محرس الصبح حتى الليل » . إن الرب لا بد سيستجيب ، ولكن فى ملء الزمان .

لقد استجاب لأبينا ابراهيم ، ولكن بعد زمن ، حورب فيه ابرآم باليأس فأخذ هاجر . وضحكت سارة فى قلبها من إمكانية تحقيق وعد الرب (تك ١٨ : ١٢) . ولكن وعد الرب تحقق على الرغم من طول المدة .

ولعلنا نلاحظ أن الأبناء الذين سمح الله بولادتهم بعد عقر وعقم ، و بعد انتظار طويل لاستجابة الرب ، كانوا كلهم من نوعيات طيبة جداً : سواء اسحق الذى حمل حطب المحرقة ، أو

صموئيل الذى مسح الملوك بقنينة الدهن ، أو يوحنا المعمدان أعظم من ولدته النساء ، أو يوسف الصديق مثال العفة والنجاح الذى أخذ سبطين ضعف أخوته ...

صلاتك التى تصليها ، تأكد أنها محفوظة عند الرب ، لم تضع .

إنها مخزونة عنده ، سيحققها مادامت توافق مشيئته ، ولكن فى الحين الحسن . تماماً مثل بذرة تودعها الأرض ، وتظل أياماً وأسابيع ، وربما شهوراً ، دون أن تجد شيئاً قد نبت منها على وجه الأرض . ولكنها لم تمت مطلقاً ، هى مخزونة ، فى حفظ أمين ، تنتظر عوامل الإنبات ، أو موعد الإنبات ، أو قد تكون فترة نضوجها طويلة ، مثل نواة النخيل مثلاً (نقاية البلح) ربما تستمر بضعة شهور تحت الأرض ، و بعد ذلك ترى شيئاً مثل سن الدبوس فوق سطح الأرض ، يكون هو بدء حياة النخلة المقبلة فوق سطح الأرض . **لذلك حسناً أن تضع البذرة فى الأرض ، ولا تقلق على موعد ظهورها ، ولا تستعجله ... هكذا أيضاً فى صلاتك واستجابتها .**

صلاتك قد سمعها الله . هى فى فكره وفى قلبه ، وفى إرادته أيضاً . أتركها إذن ولا تقلق على استجابتها . يكفيك أنها دخلت إلى حضرة الله . يكفيك أن الله قد سمعها . وعن هذا الأمر فقط كان يصلى داود أحياناً « يارب استمع صلاتى » « فلتدخل طلبتى إلى حضرتك » .

مادام الرب قد سمع الصلاة ، إطمئن إذن .

٣ ــ الأمر إذن يحتاج إلى إيمان ، بأنه إذا سمع استجاب .

كان داود النبي يفتخر بهذا الأمر ، و يؤمن بهذه الإستجابة ، وهو مازال واقفاً يصلي . فهو فى المزمور السادس ، يبدأ صلاته بقوله « يارب لا تبكتني بغضبك ، ولا تؤدبني بسخطك . إرحمني يارب فإني ضعيف . إشفني فإن عظامي قد اضطربت ، ونفسي قد انزعجت جداً » . ولكنه يقول فى آخر صلاته « إبعدوا عني يا جميع فاعلي الإثم ، لأن الرب قد سمع صوت بكائي ، الرب سمع تضرعي ، الرب لصلاتي قبل » (مز٦) . لقد وثق ـ وهو يصلي ـ من سماع صلاته ومن قبولها ، لذلك انتهر أعداءه الشامتين به .

فى وثوقه بالإستجابة ، كان يقول « بصوتي إلى الرب صرخت ، فاستجاب لي من جبل قدسه » (مز٣) . ليتك تردد هذه الآية من المزمور لتعطيك عزاءً .

لذلك ما كان داود يكلم الله فقط ، إنما كان يكلمه ، و يسمع صوته ، أعني يسمع صوت استجابته ... بالإيمان .

أنظروا إليه ماذا يقول ؟ « إني أسمع ما يتكلم به الرب الإله . لأنه يتكلم بالسلام لشعبه ولقديسيه وللذين رجعوا إليه بكل قلوبهم » .

ما أكثر الأمثلة التي تحملها المزامير عن هذه الخبرة الروحية فى استجابة الرب ، وفى ثقة المصلى بهذه الإستجابة . ليس الآن مجال سرد هذه الأمثلة . فلننتقل إلى نقطة أخرى ...

٤ ــ ما أكثر الحالات التى يستجيب فيها الرب ، دون أن تطلب .

إن الله كأب ، يعرف احتياجات أبنائه . يعرف ضيقاتهم وشدتها وحاجتهم إلى الخلاص ، لذلك فهو يستجيب أحياناً للشدة التى هم فيها ، وليس فقط للصلاة بسبب الشدة . إنه أرسل موسى النبى لخلاص شعبه المستعبد من فرعون ، دون أن يطلب هذا الشعب الخلاص من العبودية ...

إن الأجرة المبخوسة التى يأخذها الفعلة الحصادون ، تصرخ إلى الله ، قبل صياح الحصادين (يع ٥ : ٤) . وحتى إن لم يصرخ الحصادون ، فإن الظلم نفسه يصعد إلى الله « والرب يحكم للمظلومين » (مز ١٤٥) حتى دون أن يصرخوا إليه . الرب يصنع العدل على الأرض ، و يقيم الميزان بين الناس ، ولا ينتظر منهم أن يقدموا الشكاوى ... إنه يعرف ...

بل هناك شدائد ينقذك الله منها دون أن تعرفها . كانت تدبر ضدك ، والرب رأى من سمائه ، وأفسد تدبير أعدائك دون أن تعلم به ، و بالتالى دون أن تصلى .

إذن الرب يستجيب لحاجتك ، قبل أن يستجيب لصلاتك

هو يعرف حاجتك ، و يعطيك إياها دون أن تطلب . كما يفعل الأب مع أطفاله ، والطفل لا يعرف أن يطلب . و يقول المزمور « حافظ الأطفال هو الرب » .

وكما يفعل الراعي الأمين مع الخروف الضال ، يبحث عنه ، و ينقذه مما هو فيه ، و يرجعه إلى حظيرته ، دون أن يطلب . بمجرد حالته تحتاج إلى استجابة ...

بنفس الوضع ، يستجيب الله لحالة الأرض ، يُنزل لها من السماء ما تحتاجه من المطر ، و يشرق عليها بما تحتاجه من الضوء والحرارة ، دون أن تطلب .

٥ ــ إن أسلوب الإستجابة من الشدة يختلف عند الله من حالة إلى أخرى :

فهناك حالات يستجيب لها الله استجابة فورية ، فى نفس لحظة الطلب ، حالات لا ينفع معها الإبطاء، كحالة بطرس حينما سقط فى الماء ، وكحالة الثلاثة فتية فى أتون النار ، ودانيال فى جب الأسود ، وكشق البحر الأحمر ، وضرب الصخرة لكى تفجر ماء .

وهناك حالات تأخذ بعض الوقت ، كبقاء يونان فى جوف

الحوت ثلاثة أيام ، وكإنزال المطر من السماء فى الصلاة السابعة لإيليا النبي ، وليس من أول صلاة . وهذا المثال يعلمنا اللجاجة فى الصلاة .

وهناك أمثلة أخرى تأخذ زمناً طويلاً ، وتعلم الصبر ، مثل الإستجابة لابراهيم فى إعطائه نسلاً من سارة .

هذا من جهة الوقت ، أيضاً يوجد تمايز من جهة النوعية فى استجابة الرب للصلوات ، و يتوقف هذا الأمر على حكمة الرب ونظرته إلى الأمور...

وماذا أيضاً ؟ ...

٦ ــ توجد استجابة ، يقصد بها الرب أن يمنح المصلى إكليلاً .

أو أن يمنحه الرب أمجاداً من هذه الشدة ، كما فعل الرب مع الشهداء والمعترفين وأبطال الإيمان . فعبارة « يستجيب لك الرب فى يوم شدتك » ، معناها أن الرب سيمجدك فى الشدة و يقبلك أمامه كمحرقة ... المحرقة التى توضع على النار ، وتظل النار تعمل فيها ، حتى تصعد إلى الله رائحة طيبة ، يتنسم منها الله رائحة الرضا (لا ١ ، ٦) .

كحفنة بخور وضعت فى المجمرة . وظلت النار تشتعل فى البخور ، وهو مستسلم لها ، حتى تحول البخور إلى رائحة سرور ، وصعد إلى

الرب ، وظل يحتمل الشدة إلى آخر حبة من حباته ، إلى آخر نسمة من نسماته .

هنا لا يحدث مطلقاً أن تتمرد حبات البخور على النار . بل إن بعدت حبة منها ، نأتى بالمستير ، بملعقة البخور ، ونقربها إلى الجمر لتحترق ، لأن مجدها فى احتراقها . رسالتها هى هذه ، أن تقدم ذاتها رائحة زكية فى الكنيسة ، وأن تصعد إلى فوق . واستجابة الرب لها ، تعنى قبولها كمحرقة ، قبولها كرائحة طيبة ، قبولها كمستحقة للأكاليل وللأمجاد المعدة .

هذا المثال لقديسين كبار ، من نوع معين ، وليس للكل ...

إن استجابة الرب للشهداء فى يوم شدتهم ، لم تكن بإنقاذهم من الإستشهاد ، إنما كانت بإعطائهم الإحتمال فى آلامه ، والقوة على إتمامه ، لكى ينالوا المجد المعد لهم . وكما تألموا معه ، يتمجدون أيضاً معه .

والسيد المسيح وهو على الصليب ، فى يوم شدته ، استجابة الآب له لم تكن فى إنقاذه من الصليب ، مثلما صاح بعض المتجمهرين ، إنما كانت الإستجابة فى قبوله كذبيحة حب ، كفارة عن خطايا العالم ، وفى تمجيده باعتباره الفادى الذى فدى العالم كله . ولذلك قال الرب فى طريقه إلى الجلجثة « مجدنى أنت أيها الآب عند ذاتك ، بالمجد الذى كان لى عندك قبل كون العالم » (يو١٧ : ٥) .

فى كل شدة ، الرب يستجيب ، بالطريقة التى تناسب حكمته ومحبته .

ومادام الرب يستجيب لك ،إذن لا تضطرب ولا تقلق ...

ليمتلىء قلبك سلاماً ، وافرح فى صلاتك . تصور أن داود النبى يربت على كتفك ، وأنت تصلى مزامير الساعة الثالثة ، ويهمس فى أذنك قائلاً « يستجيب لك الرب فى يوم شدتك » . وأنت بكل فرح وطمانينة ، تقول مبارك أنت أيها الرب فى وعودك الصالحة ، وفى وعودك الصادقة الأمينة .

أنا يارب سأتمسك بهذه العبارة ، كلما أقع فى ضيقة ، وأحاججك بها ... ألم تقل « هلم نتحاجج » . ليكن . أنت وعدت بأن تستجيب فى وقت الشدة ، ووعدك صادق وأمين ، وأنا متمسك به ، بكل إيمانى و يقينى وثقتى بك ، كإله محب للبشر ، وكإله إذا وعد لا بد ينفذ ...

يقول المزمور « يستجيب لك الرب فى يوم شدتك ، ينصرك إسم إله يعقوب » ، فما هى أعماق هذه العبارة الثانية :



أنت فى حرب روحية ، والكتاب يقول لك « ينصرك إسم إله يعقوب » فما المقصود بعبارة « ينصرك » ؟

ليس المقصود على الدوام أنه ينصرك على أعدائك والمقاومين والمضطهدين لك ، الخفيين والظاهرين ، فمن الجائز أن ينصرك على نفسك :

ينصرك على غرائزك وشهواتك ، على رغباتك ومشاعرك وأفكارك . ينصرك على الوحش الكامن فى أحشائك من الداخل . ينصرك على طباعك وعلى نفسيتك وانفعالاتك ، سواء كان فيك خوف أو يأس ، أو ملل وعدم ثبات ، أو اضطراب ، أو حقد ، أو ذاتية ، أو كبرياء ، أو حسد ...

ينصر روحك على جسدك ، و ينصر عقلك على نزواتك .
ينصر الحكمة فيك على الإنفعال ، و ينصر التضحية فيك على الذاتية .

إنها ليست مجرد نصرة على الناس ، فالكتاب يقول إن « مالك روحه خير ممن يأخذ مدينة » (أم١٦ : ٣٢) .

ينصرك فى كل الإغراءات التى تعرض لك ، كإغراءات الخطية التى عرضت ليوسف الصديق ، أو إغراءات المناصب والغنى والرفعة والمجد الدنيوى التى عرضت للشهداء والمعترفين . كذلك ينصرك فى مجال المخاوف . يجعل الرب قلبك قلعة حصينة لا تنال . كما قال فى وعده لأرمياء النبى حينما خاف من أعدائه المعتزين أكثر منه « هاأنذا

قد جعلتك اليوم مدينة حصينة ، وعمود حديد وأسوار نحاس على كل الأرض ... فيحار بونك ولا يقدرون عليك ، لأنى أنا معك يقول الرب ، لأنقذك » (أر ١ : ١٨ ، ١٩) .

أو كما قال الرب لبولس الرسول « لا تخف ، بل تكلم ولا تسكت ، لأنى أنا معك ، ولا يقع بك أحد ليؤذيك » (أع ١٨ : ٩ ، ١٠) .

إن كان هناك وعد من الله بأن ينصر إنساناً ، فمهما قامت عليه الدنيا كلها ، فإنه يكون مطمئناً .

وفى ذلك قال داود النبي « الرب نورى وخلاصى ، ممن أخاف ؟! ... إن يحار بنى جيش ، فلن يخاف قلبي . وإن قام علىَّ قتال ، ففى هذا أنا مطمئن » (مز ٢٦) .

الرب مع أولاده . يستجيب لهم ، و ينقذهم من كل شدة ، و ينصرهم « لا يترك عصا الخطاة تستقر على نصيب الصديقين » (مز ١٢٤) .

ليس معنى هذا أنه يمنع عنهم الألم تماماً ، فللألم بركته ، ولكنه ينصرهم أخيراً ، بعد أن يتحملوا من أجل اسمه .

إنه يسمح للعصا أن تأتى عليهم ، ولكنه لا يسمح لها أن « تستقر » . يسمح لهم بالألم ، ولكن لا يسمح بالهزيمة . تصيبهم

المضربات ، و يتلقونها فى شجاعة واحتمال وصبر ، ولكنهم ينتصرون أخيراً ... كما حدث بالنسبة إلى عصور الإستشهاد . اجتازت الكنيسة بحار الألم والدم والعذاب . وانتصرت أخيراً . لم تقدر عليها السيوف ولا السجون ولا الشكوك .

الشيطان يأخذ فرصته ، ويحارب أولاد الله ، و يستخدم كل أسلحته . ولكن الرب يضع له حداً ، و يقضى على كل أعماله . وفى ذلك قال داود النبي « مراراً كثيرة حاربونى منذ صباى ... وإنهم لم يقدروا علىَّ ... على ظهرى جلدنى الخطاة ، وأطالوا إثمهم . الرب صدِّيق هو، يقطع أعناق الخطاة » (مز١٢٨) ... أى يبعد أذاهم ، فلا يبقون أعداء إلى الأبد ...

« ينصرك إسم إله يعقوب » . ينصرك فى حروبك الروحية ، وفى ضيقاتك .

وقد تكون هذه الحرب غالباً من جانب واحد ...

هم « يحاربونك » (أر ١ : ١٩) ، دون أن تحاربهم أنت ، ولكنهم لا يقدرون عليك ... كما قال داود « أحاطوا بى احتياطاً واكتنفونى ... أحاطوا بى مثل النحل حول الشهد ، والتهبوا كنار فى شوك » (مز١١٧) . وماذا كانت النتيجة ؟ يقول « دُفعت لأسقط ، والرب عضدنى ... يمين الرب صنعت قوة ، يمين الرب رفعتنى » (مز١١٧) ...

ولا يقصد بالنصرة هنا ، القضاء على أعدائك ، إنما يقصد بها غالباً الخلاص من أعدائك ، والإفلات من فخاخهم المنصوبة لك .

وفى ذلك يقول داود النبى « لولا أن الرب كان معنا ... حين قام الناس علينا ... لابتلعونا ونحن أحياء ... مبارك الرب الذى لم يسلمنا فريسة لأسنانهم ... نجت أنفسنا مثل العصفور من فخ الصيادين . الفخ انكسر ، ونحن نجونا . عوننا من عند الرب الذى صنع السماء والأرض » (مز١٢٣) .

أولاد الله لا يعتدون على أحد . فالذى يقدم الخد الآخر ، و يسير الميل الثانى ، لا يمكن أن يعتدى على غيره . ولذلك فالإنتصار الذى يقصده المزمور هو الإنتصار فى الحروب والإعتداءات التى تأتى من الغير . والرب يخلص أولاده منها .

هذا الإنتصار أيضاً جربه الآباء السواح ، والمتوحدون فى الجبال .

عاشوا فى وحدة شبه كاملة . فى البرارى والقفار وشقوق الجبال . ومع ذلك تعرضوا لحروب شديدة جداً من الشياطين ، كما حدث للقديس الأنبا أنطونيوس مثلاً : حروب بالشكوك ، و بالمخاوف والمناظر المفزعة ، وأحياناً بالإيذاء ، وحروف بالأفكار ، و بالعثرات . و بعض المتوحدين حوربوا بالرؤى و بالمناظر الكاذبة ، والأحلام التى

من الشياطين ، إلى جوار حروب الملل والضجر والكآبة ، وحروب الكبرياء ... وفى كل ذلك كان يرن فى آذانهم قول المزمور « ينصرك إسم إله يعقوب » .

« ينصرك » لأن الله لا يحب لأولاده الهزيمة ...
الله يريدك أن تكون دائماً منتصراً وغالباً ...

إن البعض يفهم التواضع فهماً خاطئاً ، فيظن أن المتواضع ينبغى أن يكون مهزوماً باستمرار ! كلا ، فالمتواضع هوإنسان منتصر . ولكنه كلما انتصر ، لا يزهى بانتصاره ، ولا ينتفخ ، ولا تكبر نفسه من الداخل ، ومن الجائز أن يكون (مهزوماً) حسب الظاهر من أعدائه ، ولكنه منتصر فى الداخل .

الله يحب أن يقودنا دائماً « فى موكب نصرته » (٢ كو٢ : ١٤) .

يريدنا فى كل حياتنا الروحية أن نجاهد ونغلب . ولذلك فإن القديسين الذين أكملوا الإيمان ، وجاهدوا على الأرض حسناً ، وذهبوا فى بر إلى مكان راحتهم فى الفردوس ، نسميهم « الكنيسة المنتصرة » . أما نحن الذين لا نزال على الأرض فنسمى « الكنيسة المجاهدة » . فإذا نلنا الغلبة فى جهادنا ، حينئذ ننضم إلى صفوف « الكنيسة المنتصرة » ، هذه التى نصرها إسم إله يعقوب ...

هذا الإنتصار أو هذه الغلبة ، عبارة مميزة فى سفر الرؤيا :

ما أكثر الوعود التى منحها الله للكنائس السبع ، للغالبين :

* من يغلب ، فسأعطيه أن يأكل من شجرة الحياة .
* من يغلب ، فلا يؤذيه الموت الثانى .
* من يغلب ، فسأعطيه أن يأكل من المن المخفى ، وأعطيه حصاة بيضاء ، وعلى الحصاة إسم جديد مكتوب ، لا يعرفه أحد غير الذى يأخذ .
* من يغلب ، فسأعطيه سلطاناً على الأمم ، فيرعاهم بقضيب من حديد ... وأعطيه كوكب الصبح .
* من يغلب ، فذلك سيلبس ثياباً بيضاء ، ولن أمحو إسمه من سفر الحياة ، وسأعترف بإسمه أمام أبى وأمام ملائكته .
* من يغلب ، فسأجعله عموداً فى هيكل إلهى ، ولا يعود يخرج إلى خارج ، وأكتب عليه إسم إلهى ، ومدينة إلهى أورشليم الجديدة ...
* من يغلب ، فسأعطيه أن يجلس معى فى عرشى ، كما غلبت أنا أيضاً وجلست مع أبى فى عرشه .

إنها مكافآت للغالبين ، بل السماء كلها هى مكان سكنى الغالبين ، الذين انتصروا على الشيطان والعالم والمادة والجسد والذات .

هذا ما يقوله الروح للكنائس . ومن له أذنان للسمع فليسمع ...

إن الله يريدك أن تكون منتصراً باستمرار ، غالباً باستمرار . و يقول الرسول « لا يغلبنك الشر ، بل إغلب الشر بالخير » (رو١٢ : ٢١) .

إن الإنتصار هو ميزة أولاد الله . وقد شرح لنا سفر الرؤيا كيف انتصر هؤلاء على التنين العظيم الذى هو الحية القديمة . فيقول القديس يوحنا الرائى : « وسمعت صوتاً عظيماً قائلاً فى السماء : الآن صار خلاص إلهنا وملكه وسلطان مسيحه ، لأنه قد طرح المشتكى على إخوتنا .... وهم غلبوه بدم الخروف ، و بكلمة شهادتهم ، ولم يحبوا حياتهم حتى الموت ... » (رؤ١٢ : ١٠ ، ١١) .

إذن الغلبة لم تكن بقوتهم هم ، إنما بدم الخروف .

حقاً كما قال المزمور : « ينصرك إسم إله يعقوب » ...

إنها ليست قوة المؤمن المحارب ، إنما قوة الله العاملة معه والعاملة فيه . وهذا الأمر نراه واضحاً فى قصة داود وجليات ، حيث قال له داود « أنت تأتى إلىَّ بسيف ورمح ، وأنا آتى إليك بإسم رب الجنود » ، « اليوم يحبسك الرب فى يدى » ، « فتعلم كل الأرض أنه يوجد إله » ، « لأن الحرب للرب » (١صم١٧ : ٤٥ - ٤٧) .

ما دامت الحرب للرب ، إذن فسوف لا ينصرك السيف والرمح ، إنما ينصرك إسم إله يعقوب . وإن كان الله ينصرك ، فعش غالباً ، متغنياً بقوته ونعمته وعمل روحه . وعش قوياً لا تضعف .

هذه القوة وهذه الغلبة ، ذكرهما القديس يوحنا الرسول ، حينما خاطب الشباب قائلاً « كتبت إليكم أيها الأحداث ، لأنكم أقوياء ، وكلمة الله ثابتة فيكم ، وقد غلبتم الشرير» (١يو٢ : ١٤) .

إنها قوة الله التي تعطي المؤمن أن ينتصر في حروبه .

لهذا يقول القديس يوحنا أيضاً لأولاده « أنتم من الله أيها الأولاد ، وقد غلبتموهم ، لأن الذى فيكم أعظم من الذى فى العالم » (١يو٤ : ٤) .

والذى فيكم هو روح الله العامل معكم ، وهو إسم الله الذى به دعيتم . هو القوة التى من فوق إذ « تنالون قوة متى حلّ الروح القدس عليكم » (أع١ : ٨) .

إذن حينما تصلى عبارة المزمور « ينصرك إسم إله يعقوب » كأنك تصلى ضمناً وتقول : أعطنى يارب هذه القوة التى بها سأنتصر. إعمل أنت فىّ ومعى . كما غلبت العالم ، إغلبه مرة أخرى فى حياتى . ألست أنت الذى قيل عنك « قد غلب الأسد الخارج من سبط يهوذا » .

لا تترك العالم ينتصر ، و يأخذ منك واحداً من أولادك ، أعنى نفسى ، إنما إغلب أنت العالم ، وانقذنى ، فأبتهج بقول المزمور « ينصرك إسم إله يعقوب » .

إنه مزمور يملأ القلب حماساً ورجاءً . إذا ما كنت تصليه بعمق ، فإنه يرفع معنو ياتك ، ولا يجعلك تستسلم للخطية أبداً ، ولا يكون لك روح الفشل . وفى كل جهاد لك من أى نوع ، لا يدركك روح الفشل ، بل روح الرجاء ، والثقة بمعونة الله الآتية إليك . بل هذه الثقة تبعثها أيضاً فى كل نفس تحيط بك ، حتى فى الركب المخلعة والأيدى المسترخية ، حتى فى كل فتيلة مدخنة ، وكل قصبة مرضوضة . تقول لكل نفس من هؤلاء وأولئك « ينصرك إسم إله يعقوب » .

إنما المهم فى الإنتصار ، أن يكون انتصاراً حقيقياً ...

إن قايين استطاع أن يضرب هابيل و يقتله و يتخلص منه ومن بره ومن رضى الله عليه . فهل حقاً انتصر قايين على هابيل ، أم بالحقيقة كان مهزوماً ؟! يقيناً إن قايين انهزم أمام خطية الحسد والغيرة ، وأمام خطية الغضب والحقد ، وأمام خطايا القسوة والعنف والعدوان والقتل . وكان عاجزاً عن كسب فضيلة المحبة ، ولم يقو على الخطية الرابضة التى صارت تسود عليه ، وأفقدته بره ، وأفقدته أخاه ، وأفقدته محبة الله ورضاه ، وصيرته خائفاً هارباً قلق النفس ... ! فهل هذا انتصار؟! كلا ، بلا شك .

إذن ينبغى أن نفهم الإنتصار بمعناه السليم ، ولا نفرح إلا بالإنتصار الحقيق .

الإنتصار الحقيق ، هو أن تنتصر على الخطأ ... تنتصر على الشيطان . تنتصر من داخل نفسك أولاً ...

تنتصر على نزواتك وشهواتك ورغباتك . تنتصر على العنف الذى يحاربك و يدفعك إلى البطش بغيرك . تنتصر على الأنانية والذات ومحبتك لنفسك . تنتصر على العالم والمادة والجسد ...

هذا هو الإنتصار الذى يريده الرب لك ... وإذا انتصرت من الداخل ، فإن العالم كله لا يقوى عليك ، لأن القلب النقى حصن لا ينال . قد يحاربك العالم ، ولكنه لا يقوى عليك ، لأن الهزيمة الحقيقية هى التى من الداخل . فإن كان داخلك سليماً ، نقياً ، ملتصقاً بالله ، حينئذ «لا يقع بك أحد ليؤذيك» (أع١٨ : ١٠) ، يحاربونك ولا يقدرون عليك» (أر١ : ١٩) ، لأن الرب يقودك فى موكب نصرته ، ينصرك إسم إله يعقوب .

والنصرة يا إخوتى تجلب الفرح ، وتريح الضمير...

و ينسى بها الإنسان كل تعبه . و يكون هناك فرح فى السماء بالإنسان الذى انتصر على نفسه ، بخاطىء واحد يتوب .

إن الإبن الضال ، لما رجع إلى نفسه ، وناقشها ، وانتصر على الباطل الذى عاش فيه فترة ، ورجع إلى أبيه ، قال أبوه « ينبغى أن نفرح ونسر... » وأعلن هذا الفرح فى السماء ، ليشترك فيه السمائيون والأرضيون ...

وأنت يا أخى حينما تنتصر ، تذكر أن الإنتصار لا يرجع إليك أنت ، لا يرجع إلى عزيمتك وقوة إرادتك ، إنما إلى الله العامل فيهما ، إذن أن الذى ينصرك هو إله يعقوب .

ولكن لماذا قال الوحى الإلهى : إله « يعقوب » بالذات ؟

لماذا لم يقل مثلاً إله يعقوب ، أو إله إسحق ، أو إله نوح ؟ ... إن كلمة « يعقوب » ، تشير إلى معنى روحى عميق ، يشجعنا ... فأبونا يعقوب كان إنساناً ضعيفاً مسكيناً ، والقوة التى ضده كانت شديدة عليه . كان إنساناً وديعاً طيب القلب ، تقف ضده القسوة والوحشية التى فى أخيه عيسو، وقد صمم قائلاً « أقوم وأقتل يعقوب أخى » (تك٢٧ : ٤٢) . وكانت ضده أيضاً الخديعة التى فى خاله لابان ، الذى زوجه ليئة بدلاً من راحيل ، وغير أجرته عشر مرات ، وطارده حتى وهو خارج من بيته ...

كان يعقوب ضعيفاً ، خائفاً ، لما كان مزمعاً أن يقابل عيسو،

خاف أن يضرب به هو وزوجاته و بنيه ، لذلك قسمهم فرقاً ، كل فرقة تتقدم وتسجد أمام عيسو، وتترضاه بكلمة لينة . وهو نفسه سجد سبع مرات قبل أن يقترب إلى أخيه ، قائلاً له « لأجد نعمة فى عينى سيدى » (تك٣٣ : ٨) .

وصلى إلى الله قبل هذه المقابلة قائلاً فى صلاته « نجنى من يد أخى ، من يد عيسو، لأنى خائف منه أن يأتى و يضرب بنى الأم مع البنين . وأنت قد قلت إنى أحسن إليك ...» (تك٣٢: ١١ ، ١٢) .

إذن إله يعقوب ، هو إله الضعفاء العاجزين عن حماية أنفسهم .

إله الودعاء ، إذا وقفوا أمام الأقوياء المعتزين بقوتهم .

إله العصفور ، إذا نصبت فى طريقه فخاخ الصيادين .

إله أبينا أنطونيوس الذى تهجم عليه الشياطين ، فيقول لهم فى انسحاق « إنى أضعف من أن أقاتل أصغركم » .

حسن جداً أن القديس داود النبي ، تذكر أبانا يعقوب الهارب من قوة أعنف منه ، ملتمساً مراحم الله ، مطيعاً نصيحة القديسة رفقة أمه ، التى قالت له : إهرب إلى أخى لابان ، وأقم عنده ... حتى يرتد سخط أخيك ، حتى يرتد غضب أخيك عنك » (تك٢٧ : ٤٣-٤٥) .

هذا هو المثال الذى وقف أمام داود فى مزموره .

لم يلتمس رحمة إله شمشون ، الذى كان يستطيع بقوته أن يهزم مدينة ، على الرغم من أن قوته هى من الله أيضاً ... بل وضع أمامه يعقوب الضعيف الذى لا قوة له ، ولا سلاح له سوى الصلاة .

يعقوب الذى على الرغم من ضعفه ، يستطيع أن يصارع مع الله ، ولا يتركه حتى ينال منه البركة (تك٣٢ : ٢٦) ، وقيل عنه إنه جاهد مع الله والناس وغلبَ (تك٣٢ : ٢٨) .

يعقوب الذى فى ضعفه ، كان صاحب رؤى ، وصاحب مواعيد ، وصاحب خبرات روحية ، وقد قال « نظرت الله وجهاً لوجه » (تك٣٢ : ٣٠). وبهذه الرؤى والمواعيد والخبرات ، كانت قوة الله هى التى تنصر ضعفه ، ومواعيد الله هى التى تعزيه فى كل شدائده ، لذلك حسناً قال الوحى لداود « ينصرك إسم إله يعقوب » .

ينصرك إله هذا الإنسان الذى لم يكن يعرف أن يدافع عن نفسه ، ينصرك كما نصره فى كل المواقع ، فنجاه من لابان ومن عيسو، كما نصره أيضاً فى موضوع إبنه يوسف ، فرآه أخيراً وفرح به .

ينصرك إله العاجزين والمساكين ، إن وقفت أمامه ضعيفاً مثلهم ...

لذلك جميل من الكنيسة إنها فى صلاة نصف الليل ، يتضرع الأب الكاهن من أجل « العاجزين والمنطرحين ، والذين ليس لهم أحد يذكرهم » .

ينصرك إله ذلك الإنسان المريض ، المطروح إلى جوار البركة ٣٨ سنة ، وليس له إنسان يلقيه فى البركة ، فأتى الرب بنفسه وشفاه وأقامه ...

ينصرك إله يعقوب الهادىء الطيب ، الذى لا يحمل سيفاً للدفاع عن نفسه ، إنما يقف و ينتظر خلاص الرب « الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون » (خر١٤ : ١٤) . ولعله من أجل وداعة يعقوب ، أن الله أحبه ، حتى قبل أن يولد (رو٩ : ١١-١٣) . أحبه ضمن « الذين سبق فعرفهم » (رو٨ : ٢٩) .

وهكذا « اختار الله ضعفاء العالم ، ليخزى بهم الأقوياء » .

واستطاع أن ينصر هؤلاء الضعفاء ، ليس فقط كما نصر يعقوب ، وإنما أيضاً كما نصر الرسل الصيادين المساكين ، الذين كانوا خائفين ومختبئين فى العلية ، وأعطاهم قوة لينشروا كلمة الإيمان التى قاومتها السلطة الرومانية ، والمدارس الفلسفية ، ودسائس اليهود .

صارع هذا الإله المحب ، كما صارعه أبونا يعقوب . تمسك به ، وخذ منه بركة ونعمة ، كما أخذ أيضاً أبونا يعقوب . وخذ منه أيضاً وعوداً إلهية ... وحينئذ سترى كيف يستجيب لك الرب فى يوم شدتك ، و ينصرك إسم إله يعقوب .

ينصرك فى الشدة ، أى لا يترك الشدة تنفرد بك .

بل هو يكون معك أثناء الشدة . الله يدخل فى الخط ، ولا يتركك وحدك ، يجعل نفسه طرفاً فى الموضوع . من يهاجمك كأنه يهاجم الله نفسه . ولذلك قيل « فى كل ضيقهم تضايق ، وملاك حضرته خلصهم » (أ٦٣ : ٩) . الذى يضطهدك كأنه يوجه هذا الإضطهاد إلى الله . ولذلك قال الرب لشاول الطرسوسى « شاول شاول ، لماذا تضطهدنى » (أع٩ : ٤) ، معتبراً أن ما يوجه إلى أولاده ، هو موجه إليه شخصياً ... كما قال لهم « من يقبلكم يقبلنى ، ومن يرذلكم يرذلنى » (لو١٠ : ١٦) . إن كانت آلامك هى شركة فى آلامه ، فإنه ينظر إلى آلامك كأنها آلامه هو.

هذا الذى جاء ليحمل أوجاعنا ، وليس فقط خطايانا (أش٥٣ : ٤) ، لا يترك أبداً كل من هم فى تعب ، بل يقف إلى جوارهم يسندهم :

بـل هـو يدعو كل من فى ضيقة ، لكى يأتى إليه فيريحه . وقد قال للـكـل «تـعالوا إلىَّ يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال وأنا أريحكـم» . تـمـسـك إذن بوعده الصادق وتعال إليه ليريحك ، فهو مريح التعابى ، حتى الذين لم يأتوا إليه ، وإنما هو تحنن لما رأى أتعابهم . أليس هو الذى تحنن ، لمـا رأى النـاس « مـنـطرحين ومنزعجين ، كغنم لا راعى لها » (مت ٩ : ٣٦) .

إن الله لا يتخلى عن الناس فى شدائدهم ...

فلا يـتـركـك إلى الـشـدة مـن الخـارج ، وإلى الـشعور بالتخلى فى الداخل .

مجرد شعورك أن الله ليس معك فى الشدة ، هو شدة أعمق من كل مـا يـضـايقك . لذلك فإن الله يقيم توازناً ، بين الشدة التى فى الخارج ، والـسلام الذى يعطيك إياه بمعونته أو بوعوده . هو برحمته يفك شدتك ، ولا ينضم أبداً إلى شدائدك ، ولا يأخذ منك موقفاً سلبياً ...

وسنضرب لذلك بعض أمثلة من الكتاب :

* المـرأة الخـاطـئـة التى ضـبـطت فى ذات الفعل . لا شك أنها فى الخارج كانت تقاسى شدة رهيبة ، من الإدانة ، والفضيحة والتشهير ، وقـسـوة الـذيـن سـاقـوها إلـيـه ، وتهـديدهم إياها بحكم الموت وتنفيذ

الشريعة حرفياً عليها ... ولكن الرب لم ينضم إلى هؤلاء القساة ، ولم يحكم بحكمهم . إنما أخجل الذين يدينونها ، وأوقعهم فى نفس الدينونة ، وخلصها منهم ، فتركوها . ثم قال للمرأة « وأنا أيضاً لا أدينك . أذهبى بسلام » . فعل هذا وخلصها ، حتى دون أن تطلب .

إذن عبارة « يستجيب لك الرب فى يوم شدتك » ، قد تحمل معنى يستجيب لاحتياجك ، وليس فقط يستجيب لصلاتك ...

فالله يعلم أنك محتاج إلى المعونة ، فيقدمها إليك ، سواء طلبت أو لم تطلب ، وهناك شدائد قادمة إليك وأنت لا تعلم ، و بالتالى لا تطلب ، ولكن الله يستجيب ليس للصلاة فقط ، وإنما يستجيب للحالة كما يعرفها و يعرف أسلوب علاجها .

* أيضاً الخاطئة الباكية التى بللت قدميه بدموعها فى بيت الفريسى . انتقدها الفريسى وأدانها فى قلبه ، واعتبر مجرد لمسها لقدمى المسيح جرأة منها وخطية . أما السيد فدافع عنها ، وشرح للفريسى أن هذه المرأة فيها فضائل تفوق الفريسى ...

* يذكّرنا هذا المثال بقصة المرأة الشونمية ، التى لما مات ابنها ، أسرعت إلى رجل الله أليشع تستنجد به وقد أمسكت قدميه ، فانتقدها

تلميذه جيحزى وأراد أن يطردها ، فمنعه أليشع النبى ، ودافع عن المرأة قائلاً « دعها ، لأن نفسها مرة » (٢مل ٤ : ٢٧) . وتأنى على المرأة حتى سمع شكواها ، وسار معها لإحياء إبنها . فإن كان أليشع النبى ، بهذه الرقة وطيبة القلب ، فكم بالحرى الله نفسه !

إن أنسب الأوقات التى يكون فيها الله معك هى أوقات الشدة .

الوقت الذى تحتاج فيه إليه ، والذى تقول له فيه « ليس لنا معين فى شدائدنا وضيقاتنا سواك » . فى هذا الوقت تجد الله إلى جوارك ... إما أن يقويك و ينجيك ، وإما أن يعزيك ، و يعطيك صبراً لتحتمل . و يكون فى صبرك انتصار ، كمقدمة للإنتصار الأخير فى الوقت الذى يراه الرب .

و ينصرك ليس معناها أن يجعل مقاوميك تحت قدميك ، بل قد يجعلهم داخل قلبك ... و يوجد سلاماً بينك و بينهم ، أو يعطيك نعمة فى أعينهم ، أو يصرفهم عنك فى هدوء ... على الأقل لا يصيبك منهم أذى حقيقى ...

والطريقة التى ينصرك بها الله تختلف فى نوعها ...

قد يجعل أحد الملائكة ، أو روحاً من أرواح القديسين تتدخل فى

موضوعك ، و يرسل القديس لإنقاذك سواء بطريقة مرئية أو غير مرئية . قد تحدث معجزة ، و يتدخل الله بطريقة تمجد إسمه . وقد تكون هذه النصرة بطريقة تبدو طبيعية جداً ، ولكن تظهر يد الله فيها واضحة . وقد ينقذك من داخل نفسك ، بتغيير مجرى أفكارك ومشاعرك ، و بأن يجعل السلام يملأ قلبك ...

المهم أن ينصرك إسم إله يعقوب . وهنا نتأمل قوة إسم الله :

إسم إله يعقوب

إن إسم الله له قوته وهيبته وفعله ، لذلك يقول الحكيم :

إسم الرب برج حصين ، يركض إليه الصديق ويتمنع (أم ١٨ : ١٠).

إن ذكرت هذه الآية ، وجعلتها فى ذهنك باستمرار، لاشك أنها ستدفعك أن تجعل إسم الرب على لسانك فى كل حين ، لكى تأخذ من قوته ، وتجعله معونتك فى كل شدة وضيقة . ولهذا فإن المرتل فى المزمور الثانى من صلاة الغروب (مز ١١٧) يقول « كل الأمم أحاطوا بى ... أحاطوا بى احتياطاً واكتنفونى ، و باسم الرب قهرتهم » .

حقاً إن إسم الرب قوى ، لدرجة أن الشياطين ترتعد منه . ومن

خوفها كانت تخرج من الناس . وقد رجع التلاميذ إلى الرب فرحين وقالوا له :

« حتى الشياطين تخضع لنا باسمك » (لو ١٠ : ١٧) .

ومن قوة إسم الرب ، حتى على أفواه من لم يخلصوا ، قول بعض من أولئك للرب فى اليوم الأخير « أليس باسمك تنبأنا ، و باسمك أخرجنا شياطين ، و باسمك صنعنا قوات كثيرة ؟! » (مت٧ : ٢٢) . هنا تبدو قوة إسم الرب .

ولهذا نرى المرتل ، يقول فى أول مزامير الساعة السادسة :

« اللهم باسمك خلصنى » (مز ٥٣ : ١) .

إن إسم الرب فيه قوة للخلاص ، لأنه يطرد الشياطين .

وفى قصة الجارية عرافة فيلبى ، التى كان عليها روح عرافة ، كيف طرده منها القديس بولس الرسول . يقول الكتاب إن بولس « إلتفت إلى الروح وقال : أنا آمرك باسم يسوع المسيح أن تخرج منها . فخرج فى تلك الساعة » (أع ١٦ : ١٨) .

و باسم الرب أيضاً ، كان القديسون يصنعون معجزات .

وهذا الأمر نراه بوضوح فى قصة شفاء الرجل الأعرج الذى كان يستعطى عند باب الهيكل الذى يقال له الجميل . ولم يكن عند

القديس بطرس مال ليعطيه له ، فقال للأعرج « ليس لى فضة ولا ذهب . ولكن الذى لى فإياه أعطيك : باسم يسوع المسيح الناصرى قم وامش... فوثب ووقف وصار يمشى » (أع ٣ : ٦ ، ٧) . و باسم الرب تمت المعجزة . وأمثالها كثير...

إذن إجعل إسم الرب على فمك باستمرار ، ليعطيك الرب قوة وعزاء .

إننا نتعب فى حياتنا ، إن بعدنا عن إسم الرب ، و بالتالى بعدنا عن الشعور بوجوده معنا وعمله لأجلنا ، لذلك يقول داود :

« محبوب هو إسمك يارب ، فهو طول النهار تلاوتى » (مز ١١٩)

كان يتلو إسم الرب ، فيشعر بفرح ، و يشعر أن الرب معه ، وأن الرب يستجيب له فى يوم شدته ، و ينصره . وكيف ذلك ؟ ... يقول المزمور:

يرسل لك عونا من قدسه ومن صهيون يعضدك

يرسل لك معونة ، يرسل لك من ينقذك ، لا يتركك وحدك . ولذلك نحن نذكر هذا العون الإلهى ، فى أول صلاة الشكر ، إذ نقول « فلنشكر صانع الخيرات الرحوم الله ... لأنه أعاننا » . إنه عون مستمر ، نذكره كل يوم وكل ساعة .

الله يرسل لك العون ، لأنه يعرف ضعفك ، و يعرف ظروفك .

يعرف مشاكلك ، و يعرف إحتياجاتك . إنه يتابع حروبك مع الشيطان ، وعلاقاتك مع الناس ، ومشاعر نفسك الداخلية . و يدرك تماماً الحال الذى أنت فيه ، من كل ناحية ، والتعقيدات التى تصادفك ، وقيام الأعداء الخفيين والظاهرين . إنه يسمع صلواتك ، و يسمع تنهداتك ، و يرى مرارة نفسك ...

مادام الله يعرف كل ما يحيط بك ، إذن إطمئن ...

لا بد أنه سيرسل لك الحل ، و يرسل لك المعونة ، كإله رحوم ، وكأب محب لأولاده ، ولأن هذا هوعمله كراعٍ صالح يهتم برعيته .

ولكن البعض قد لا يتكل على الله ، و يلجأ إلى ذراعه البشرى للخروج من ضيقاته ، أويلجأ إلى معونة البشر .

والمعونة البشرية ، ربما لا تخلوأحياناً من أخطاء ...

فى شدتك ، قد يأتيك عون من أهل العالم . يشفقون عليك و يريدون إراحتك من متاعبك ، أياً كانت الوسائل . ربما يحاول بعضهم أن يحل لك الإشكال بكذبة ، بحيلة ، بدهاء ، بذكاء بشرى ! يقول لك هذه المعضلة يمكن حلها برشوة ، بكلمة تملق ، بشهادة

مرضية ... وما أكثر الحلول البشرية . ولكن لا تشعر فى كل ذلك أنك خرجت من شدتك بطريقة مقدسة .

أما الله فيرسل لك العون من قدسه ، بطريقة مقدسة .

طرق الله الإلهية ، كلها طهر و بركة ، بعكس حيل العالم التى تتعب الضمير. وما أكثر المشورات الخاطئة والنصائح الخاطئة ، التى ربما تأتى بنتيجة سريعة ، ولكنها لا تتفق مع المشيئة البشرية . وسنذكر بعض الأمثلة :

آخاب الملك أتاه عون من إيزابل ، وكان سبباً فى هلاكه .

لقد اشتهى آخاب أن يمتلك حقل نابوت اليزرعيلى . ولما رفض نابوت أن يفرط فى ميراث آبائه ، وقع آخاب فى شدة داخل نفسه ، من شهوته التى كان يجب أن يتحرر منها . ولما رأته زوجته إيزابل فى يوم شدته ، قدمت له العون بدهائها : يتهم نابوت اليزرعيلى بالتجديف ، و يقيم عليه شهود زور، و يدينه و يقتله ثم يرثه . وفعلاً أتت هذه النصيحة بالنتيجة المطلوبة ، وورث آخاب الحقل . ولكن جاءه صوت الله يقول له : فى المكان الذى لحست فيه الكلاب دم نابوت اليزرعيلى ، تلحس دمك أنت أيضاً (١مل ٢١ : ١٩) . نصيحة إيزابل التى ظنتها عوناً لرجلها ، كانت سبباً فى هلاكه ، لأن مصدرها لم يكن هو الرب ، ولم تكن عوناً من قدسه .

وبنفس الوضع كانت النصيحة التى قدمها بلعام لبالاق ، والمشورة التى كان أخيتوفل مزمعاً أن يقدمها لأبشالوم لإهلاك داود .

فى شدتك ، ما أسهل أن يقدم لك الشيطان عوناً .

والمزمور يدعو لك ، أن يكون حل إشكالاتك على يد الله وحده ، ومن قدسه ، وبطريقة طاهرة ، حتى لو تأخرت قليلاً .

فالشيطان ما أسهل عليه - إن رآك فى شدة - أن يتطوع ليقدم لك عوناً ، ويقترح لك حلولاً . مثلما رأى السيد المسيح جائعاً بعد صومه الطويل على الجبل ، فتقدم الشيطان يقدم العون « قل أن تصير الحجارة خبزاً » ... يمكن أن تكسب العالم بالخبز ، فيتبعوك . ويمكن أن تنشر تعاليمك بالسلطة ، بتجربة الملك . ويمكن أن يكون ذلك بالمعجزات المبهرات ، بأن تلقى نفسك من الجبل وتحملك الملائكة ، ويرى الناس فيتبعونك ... وفى كل ذلك لا فداء ، ولا حمل خطايا الناس ... ورفض السيد المسيح هذا العون ، واعتبره تجربة من الشيطان ، لأنه لا يتفق مع مشيئة الآب ، وليس هو من عنده ، ولا من قدسه .

عوناً من قدسه ، تشعر بأن يد الله فيه ، وربما يأتى بطريقة لم تكن تنتظرها على الإطلاق .

بل تشعر أن الله « من صهيون يعضدك » . وصهيون هى مدينة الملك العظيم ، مدينة داود ، رمز لملك الله ، ورمز للبركة . فعبارة « من صهيون يعضدك » معناها من ملكه ، من ملكوته ، من قوته و بركته و بره . بطريقة تشعر أن يد الله قد تدخلت فيه ، وهى التى حلت الإشكال .

وسأضرب لكم مثالاً عملياً ، قصة حدثت منذ ١٥ سنة :

أحد الآباء المطارنة لم تكن له دار للمطرانية ، وكان يسكن فى حجرتين ملحقتين بالكنيسة . وطبيعى كان يلزمه جداً ، و يلزم الخدمة ، بناء مطرانية . فكافح حتى حصل على مال إشترى به بيتاً لبناء مطرانية . ولكن البيت كان يشغله سكان ، وليس من السهل إطلاقاً إخراجهم من مسكنهم . وكذلك لم يكن عنده شىء من المال يكفى لكى يهدم البيت و يعيد بناءه حسب الغرض المطلوب . وكيف يحصل على قرار الهدم ، والبيت ليس قديماً ولا آيلاً للسقوط ؟ ومن أين أيضاً قرار البناء ؟ ولم يجد نيافة المطران سوى أن يصلى و يترك الأمر لله ، لأنه لم يستطع أن يعمل شيئاً .

و بدأت يد الله تعمل . كان البيت يطل على الشارع المواجه لشريط السكة الحديد ، وقد رأت المحافظة أن توسع هذا الشارع

وتجمله ، لأنه فى مدخل البلد . وتوسيع الشارع كان معناه هدم جزء من البيت الذى اشتراه المطران ، و بالتالى إخراج السكان المقيمين فيه . وهكذا حلت مشكلة السكان ومشكلة الهدم . و بتوسيع الشارع واستيلاء البلدية على جزء من أرض المطرانية ، حصل نيافة المطران على تعويض مالى يساعده على البناء . ولأن المحافظة أرادت أن يتم توسيع الشارع وتجميله بسرعة ، قدمت كل ما يلزم للملاك من تراخيص البناء ، وتراخيص شراء مواد البناء ، بل وتقديم سلفيات لهم أيضاً . وحلت مشكلة المال ...

و بنيت المطرانية ، وزالت كل العقبات ، و بدا أن يد الله قد تدخلت بطريقة ما كان المطران يفكر فيها . وفى شهور قليلة كان يجلس فى مطرانيته الجديدة ، دون أن يتكلف شيئاً . حقاً : يرسل لك عوناً من قدسه ، ومن صهيون يعضدك .

عندما يبدأ الله أن يحل المشكلة ، تحل البركة .

وتجد أن « جميع الأشياء تعمل معاً للخير ، للذين يحبون الرب » (رو٨ : ٢٨) . بل إن الله قادر أن « يخرج من الجافى حلاوة » ، وحتى المشاكل يحولها إلى حلول ياليت هذه الآية « يرسل لك عوناً من قدسه ، ومن صهيون يعضدك » تتخذها مجالاً للتأملات الروحية ، من

جهة خبرات الإنسان الشخصية ، وما يعرفه من قصص أحبائه وأصدقائه ومعارفه ، وما قرأه من قصص القديسين وفى تاريخ الكنيسة .

وليتكم ترسلون لى هذه المعلومات ، فى مظروف خاص بموضوع « يرسل لك عوناً من قدسه » ، وكل من يعرف قصة واقعية ، يرسلها بتفاصيلها . وبهذا الوضع نستطيع أن نصدر بها كتاباً خاصاً ، موضوعه « يرسل لك عوناً من قدسه » .

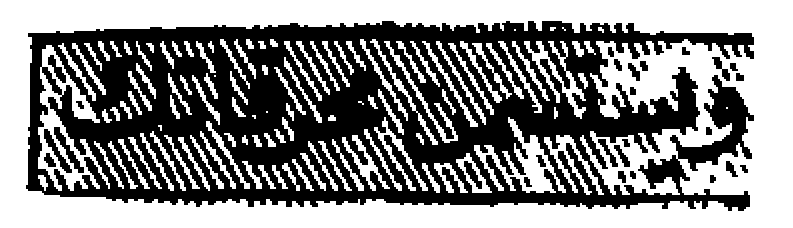
إننى أعرف الكثير فى هذا المجال ، ولكنى أرى أن الوقت قد طال بنا فى تأمل آيتين فقط من هذا المزمور ، ولست أدرى متى أو كيف سننتهى ، لذلك أستسمحكم فى أن أعبر بسرعة إلى باقى النقاط ...

فى أحيان كثيرة ، يجد الإنسان جميع الأبواب مغلقة ما عدا واحداً مفتوحاً ... و يبدو أن يد الله قد فتحته ، يد الله « الذى يفتح ولا أحد يغلق » (رؤ٣ : ٧) . وكون الله يفتح هذا الباب ، ليس معنى ذلك أنه يرسل لهذا الغرض ملاكاً أو أحد القديسين ... كلا ، بل أنه قد يستخدم فى هذا أى شخص عادى . المهم أن إرادة الله تتم ، ومعونة الله تأتى ، وتشعر أن يد الله تعمل معك ، وأن الله يرسل لك عوناً من قدسه ، من سمائه ، من عرشه ...

أهل العالم لم يتعودوا أن ينسبوا إلى الله المعونات التى تأتى إليهم أو إلى غيرهم ! بل ينسبونها إلى أمور طبيعية . أما عبارة يد الله ، فلا يفهمونها ولا يستعملونها . أما أنت الذى تحيا فى الإيمان ، وتوقن أن الله مدبر حياتك ، فإن المعونات التى تأتيك ، تنسبها إلى الله ، و بخاصة هذه المتعلقة بالباب الواحد المفتوح ...

مشكلة تكون مرتبكاً بسببها ، وقد عملت لها ألف حساب . ثم تجد أنها قد حلت بطريقة لم تخطر لك على بال ، فتشعر بيد الله ، وتشعر أن الله يستجيب لك فى يوم شدتك ... يرسل لك عوناً من قدسه ، ومن صهيون يعضدك . وماذا أيضاً ؟





أى أن كل الذبائح والمحرقات التى تكون قد قدمتها لله من قبل ، يذكرها لك الله فى يوم شدتك .

الله الذى لا ينسى كأس الماء البارد ، ولا ينسى أبداً فلسى الأرملة ، ولا حفنة الدقيق التى قدمتها أرملة صرفة صيدا لإيليا .

الله الذى كل عمل خير نعمله ، محفوظ عنده ، مكتوب فى سفر الحياة ، كتب الله عنه سفر تذكره (مل٣ : ١٦) . لا تظن أنه ينسى أى تعب تتعبه من أجله ، أو من أجل كنيسته وقديسيه ، أو من أجل أى فقير ومحتاج . إنه يقول لك « بى قد فعلته » (مت ٢٥) . إنه يذكر جميع ذبائحك . و يقول لك « أنا عارف أعمالك وتعبك وصبرك ... وقد تعبت من أجلى ولم تكل » (رؤ٢ : ٢، ٣) .

الله ليس بظالم حتى ينسى تعب المحبة (عب ٦ : ١٠) .

كل تعب المحبة الذى تتعبه أمام الرب ، هو ذبيحة حب ، ليست منسية أمامه . إن الله لا ينسى دمعة واحدة تكون قد سكبتها أمامه ، بل يحفظها فى زق عنده (مز١١٩) .

لا ينسى خطوة واحدة ، تكون قد خطوتها نحو الكنيسة ، أو فى ز يارة افتقاد ، أو لحل إشكال . لا ينسى إبتسامة تكون قد ابتسمتها فى وجه إنسان مكتئب ، أو كلمة عزاء قلتها لتعز ية حز ين .

كل الخير الذى تفعله ، مخزون عنده ، ومحفوظ ومكنوز .

يذكره كله لك فى يوم شدتك . كل حب وحنان تقدمه للناس ، هو محفوظ أمام الله ، فى يوم شدتك يأتى موعده ليتحرك ، و يعمل لأجلك . الله لا يمكن أن ينسى تعبك وحبك وخدمتك وماضيك

ومعوناتك للآخرين . ألم يقل الكتاب « إن أعمالهم تتبعهم » . إذن أعمالك الطيبة ستتبعك .

ليس فقط وقت الموت « أعمالهم تتبعهم » ، بل أيضاً وقت الشدة . كل عمل طيب قد عملته ، سيشفع فيك فى يوم شدتك .

ألم يقل الله « طوبى للرحماء ، لأنهم يرحمون » (مت ٥) ... إذن الرحمة التى تكون قد قدمتها فى الماضى ، ستشفع فيك يوم تحتاج إلى الرحمة . وإن كنت فى ضيقة الآخرين قد ساهمت فى حل ضيقهم ، يذكر لك الله هذا فى يوم ضيقك ، و يرسل لك عوناً من قدسه ، و يذكر جميع ذبائحك .

مسكين الإنسان الذى لم يقدم خيراً لأحد فى حياته .

ومسكين أكثر من يكون قد عامل غيره بالقسوة والعنف . هذا يجد أمامه الآية التى تقول « بالكيل الذى به تكيلون يكال لكم و يزاد » . كذلك الشخص الذى يقف موقفاً سلبياً من آلام الآخرين ، كأنه غير مسئول ، أو أن الأمر لا يعنيه ! هذا يقف أمامه قول الوحى الإلهى فى سفر الأمثال (أم ٢١ : ١٣) :

« من يسد أذنيه عن صراخ المسكين ، فهو أيضاً يصرخ ولا يستجاب له » .

إن كان الأمر هكذا ، فلنكثر من عمل الخير والرحمة ، ونوزعها على كل محتاج ، لكى تقف أمام الله تشفع فينا فى يوم الشدة ، عالمين أنه لا يوجد عمل خير يضيع أجره ، لا فى السماء ولا على الأرض .

« إذن يا إخوتى الأحباء ، كونوا راسخين غير متزعزعين ، مكثرين فى عمل الرب كل حين ، عالمين أن تعبكم ليس باطلاً فى الرب » (١ كو١٥ : ٥٨) .

إياك أن تصدق المثل العامى الذى يقول « القرش الأبيض ينفع فى اليوم الأسود » ! كلا ، فلن ينفعك سوى مراحم الله الذى يذكر جميع ذبائحك . فأين هى ذبائحك ومحرقاتك ، ليذكرها لك الله فى ذلك اليوم ؟ إن لم تكن قد بدأت فى عمل الخير ، فابدأ من الآن ...

والله سيذكر ذبائحك ، ليس فقط فى وقت شدتك ، إنما سيذكرها أيضاً بالنسبة إلى أولادك وأهلك وأحبائك .

مثلما فعل مع سليمان ، من أجل داود أبيه . فقال : لا أمزق المملكة فى أيامك من أجل داود أبيك (١ مل ١١ : ١٢) . وأعطاه أيضاً سبطاً من أجل داود ... إن الخير الذى فعله داود فى حياته ، والرحمة التى رحم بها بيت شاول ، كل ذلك ذكره الله ، ورحم به سليمان بن داود ...

ولذلك نسمع أحياناً من يقول : هذا الولد ، حافظ الرب عليه ، من أجل الخير الذى كان يعمله أبوه ... من أجل ذبائح الآباء ، كان الله يرحم أبناءهم .

إن الله يذكر ذبائح آبائنا القديسين ، و يرحمنا من أجلهم .

وهكذا نقول لله فى صلواتنا « لا تنزع عنا رحمتك من أجل ابراهيم حبيبك ، وإسحق عبدك ، وإسرائيل قديسيك » (قطع الساعة التاسعة) .

ما أكثر قول الله فى الكتاب « من أجل ابراهيم عبدى » ، « من أجل داود عبدى » ... إن ما فعله ابراهيم وداود ، إستمر تأثيره عبر الأجيال ...

لقد عشنا فى العالم بخير ، من أجل ابراهيم واسحق و يعقوب . الرب ذكر ذبائحهم ومحرقاتهم ، وحافظ علينا من أجلهم . إنه لم ينس تعب آبائنا القديسين ، ومازال يحافظ علينا من أجل الآباء . كذلك ما تقدمه أنت من ذبائح ومحرقات ، يستمر تأثيره أجيالاً . و يذكر الرب جميع ذبائحك ومحرقاتك ، لك ولأولادك وأولادهم ...

ولكن ما الفرق بين الذبائح والمحرقات ؟

الذبيحة ، هى كل ما كان يذبح للرب . والمحرقة أيضاً ذبيحة .

ولكن ما الفرق ؟ الفرق هو أن بعض الذبائح كان يأكل منها الكاهن ، أو مقدمها . والبعض كان يأكل منها أصدقاء مقدمها أيضاً (مثل ذبيحة السلامة) . فذبيحة الخطية مثلاً ، ينال منها مقدمها غفراناً (حسب الرمز) . وذبيحة السلامة علامة فرح يعم على الجميع .

أما المحرقة ، فكانت لإرضاء الرب ، رائحة سرور للرب (لا ١) ، لذلك كانت للمذبح وحده ، ولنار الرب وحدها . لا يتناول منها أحد . تظل تأكل فيها النار حتى تصير رماداً ، إشارة إلى أن عدل الله قد استوفى حقوقه من الخطية .

خطية الإنسان كانت لها نتيجتان : إغضاب قلب الله الذى كسرنا وصاياه ، وهلاك الإنسان الذى أخطأ . والمحرقة كانت ترمز إلى إرضاء الله ، وذبيحة الخطية كانت ترمز إلى تخليص الإنسان من خطاياه . والسيد المسيح قام بالدورين معاً على الصليب .

وهنا فى عبارة المزمور ، ماذا نفهم ؟

محرقاتك هى كل ما تفعله لإرضاء قلب الله وحده . وذبائحك هى كل خير تعمله لأجل الآخرين ولأجل خلاص نفسك .

كل ذلك يذكره لك الله فى يوم شدتك . يذكر الكل ...

يذكر ما تقدمه من عشور و بكور ونذور وستور ، وكتب القراءة والزيت وأوانى المذبح . وما تقدمه من مال أو ذبائح كما فى النذورات وأعياد القديسين . و يذكر كل عمل بر تعمله بالآخرين .

وأيضاً يذكر الذبائح الروحية ...

كما يقول المرتل فى المزمور « فلتستقم صلاتى كالبخور قدامك . وليكن رفع يدى ذبيحة مسائية » (مز ١٤٠) . ومن الجائز أن تكون ذبائحك ومحرقاتك هى نفسك بالذات ، كما يقول الرسول « أطلب إليكم أيها الإخوة ... أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة ، مرضية عند الله عبادتكم العقلية » (رو١٢ : ١) .

وفى الذبائح الروحية يقول الكتاب « الذبيحة لله روح منسحق » (مز ٥٠) .

يذكر الله جميع ذبائحك ، روحية أو مادية ، أو بالنية .

فكما يذكر صلواتك (من الذبائح الروحية) ، وعشورك ونذورك (من الذبائح المادية) ، يذكر أيضاً حتى مجرد نيتك المقدسة ورغبتك فى العطاء . ولهذا يصلى الكاهن فى أوشية القرابين من أجل أن يذكر الله « أصحاب القليل ، وأصحاب الكثير، الخفيات والظاهرات »

وماذا أيضاً ؟ يقول للرب « والذين يريدون أن يقدموا لك ، وليس لهم » ...

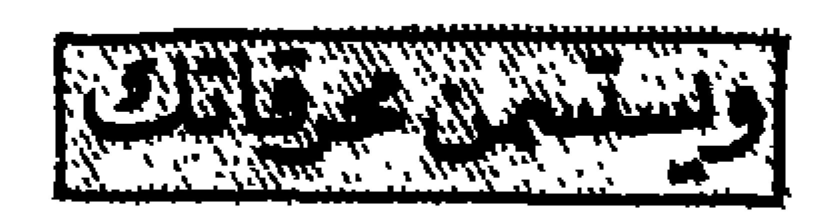
أما أنت ، فحينما تصل إلى هذه العبارة من المزمور :

فلتنسحق نفسك ، وقل : أين هى يارب ذبائحى ومحرقاتى ؟

أنا لم أقدم لك شيئاً حتى الآن ... أبونا إبراهيم قدم إبنه الوحيد ، والأرملة قدمت من أعوازها . وأنا ماذا قدمت ؟ لا شىء ...

حذار من أن تذكر شيئاً ، كما فعل الفريسى ، لئلا يختطفه منك شيطان المجد الباطل . بل إن ورد على ذهنك شىء قدمته ، قل للرب : وهذا ليس من عندى ، إنما « من يدك أعطيناك » والكل لله ، منك وإليك ...

هنا ونذكر عبارة جميلة فى المزمور لها عمقها ، وهى :



أى يعتبرها سمينة ، ينظر إليها فوق ما تستحق .

مهما كان ما تقدمه ضئيلاً فى نظرك ، أو فى نظر الآخرين ، فإن الله يستسمنه ، يقبله كأفضل ما يمكن أن يقدم ، كما فعل بالنسبة إلى فلسى الأرملة ، ودموع المرأة الخاطئة التى بللت قدميه ، والعبارة

المنسحقة التى قالتها المرأة الكنعانية . فمدح الرب كل هؤلاء أمام الجميع ، واستسمن محرقاتهم ...

ما أكثر تقدير الرب لأعمال أولاده ، إذ يكبرها ، و يكبرهم بسببها ، هذا الذى يذكر حتى كأس الماء البارد ، الذى لا تعب فيه . وكما يقول المثل العامى « بصلة المحب خروف » . هكذا يفعل الله فى معاملته لنا ...

الله لا ينسى فقط عمل الخير الذى نعمله ، وإنما أيضاً يمتدحه و يكبره و يعطيه قيمة . ما أعمق محبة الرب وحنوه .

تأكد أنه فى اليوم الأخير ، سيكون الله ، هو أكثر من يدافع عن أعمالك الطيبة ، و يقدرها و يكبرها ...

إذن ، لا تفتخر باطلاً . ولا تذكر أعمالك الحسنة قدامه أو قدام الناس . بل انسها لكى يذكرها لك الله . إن الله سيذكر لك فى يوم شدتك وفى اليوم الأخير كل ما تنساه من أعمال خير قمت بها .

إن الله يستسمن ما قدمته له الكنيسة من أمثلة بشرية :

*** أنظروا يونان مثلاً :**

إعتبره الله نبياً عظيماً ، وجعل سفراً من الكتاب المقدس

باسمه ... مع أن يونان خالف الرب ، وهرب إلى ترشيش ، وأصابت السفينة أهوال بسببه . وحزن حتى الموت لما خلص أهل نينوى بمناداته ، لأن كلمته عن انقلاب المدينة بعد أربعين يوماً قد سقطت إلى الأرض ولم تنفذ . وقال « موتى خير من حياتى » وعاتبه الرب قائلاً « هل اغتظت بالصواب ؟! » (يون ٤ : ١-٤) .

ولكن الرب مع ذلك ، امتدح هذا الكارز العظيم ، وقال إن نينوى « قد تابت بمناداة يونان » . واستسمن الرب مناداة يونان ، التى قام بها بعد معصية وهروب ، ولم يذكر له المعصية والهروب . ولما كان فى بطن الحوت ، صلى فاستجاب له ...

* وأيوب الصديق :

كم استسمن الرب هذه المحرقة ، وقال عنه مرتين إنه « ليس مثله فى الأرض . رجل كامل ومستقيم » (أى ١ : ٨ ، ٢ : ٣) .

ومع أن أيوب لعن يومه (أى ٣) . وعاتب الرب عتاباً شديداً جداً ، لدرجة أنه قال له « فهمنى لماذا تخاصمنى ؟ أحسن عندك أن تظلم ؟! ... فى علمك أنى لست مذنباً ، ولا منقذ من يدك ... كف عنى ، فأتبلج قليلاً » (أى ١٠ : ٢ ، ٣ ، ٧ ، ٢٠) . وقال « يكثر جروحى بلا سبب ... وإن كنت كاملاً يستذنبنى » (أى ٩ : ١٧ ، ٢٠) .

ومع ذلك فإن الله لم يتخل عن مدحه لأيوب ، لدرجة أنه بعد هذا العتاب كله وما هو أشد منه ، قال لأصحاب أيوب الثلاثة « لم تقولوا فيّ الصواب كعبدى أيوب . والآن فخذوا لأنفسكم سبعة ثيران وسبعة كباش ، واذهبوا إلى عبدى أيوب ، اصعدوا محرقة لأجل أنفسكم ، وعبدى أيوب يصلى من أجلكم ، لأنى أرفع وجهه . لئلا أصنع معكم حسب حماقتكم ، لأنكم لم تقولوا فيّ الصواب كعبدى أيوب » (أى ٤٢ : ٧-٨)

*** يعقوب أبو الآباء :**

على الرغم من أنه خدع أباه اسحق ، وعلى الرغم من أنه رفض أن يعطى طعاماً لأخيه وهو جائع إلا إذا باعه بكوريته ، وعلى الرغم من خوفه ... إلا أن الرب كان يستسمن هذه المحرقة . وظهر ليعقوب أكثر من مرة ، وباركه ، ونصره ، ومنحه الوعود ، وجاء من نسله ...

إن كان الله هكذا يوقر القديسين ، فيجب أن نوقرهم نحن أيضاً .
ولا يجوز لنا أن نحتقر محرقات غيرنا ، والله يستسمنها ...

ليتنا نحترم كل عمل طيب ، يقوم به أى إنسان ، ونمتدحه ونشجعه ، مهما كان هذا العمل يبدو ضئيلاً . فهذه هى طريقة الله ، الذى يستسمن المحرقات ...

كان القديس الأنبا بيشوى يطوى الأيام صوماً . وفى إحدى المرات طوى واحداً وعشرين يوماً . ورأى شاباً مبتدئاً فى الرهبنة قد طوى يوماً واحداً فقط ، ومع ذلك لم يحتمل ، وكان يسير ورجلاه ترتعشان . فسأل الله عنه فقال الرب « إن أجره مثلك تماماً . لأنه لو كان قد نال نفس النعمة التى نلتها أنت ، لاستطاع أن يصوم مثلك ٢١ يوماً » ... وهكذا استسمن الرب محرقة هذا الشاب المبتدىء ، واعتبرها تماثل محرقات القديس العظيم الأنبا بيشوى .

ما أعجبه من إله طيب ... يذكر جميع ذبائحك و يستسمن محرقاتك . وماذا أيضاً ؟

يعطيك الرب حسب قلبك ، و يتمم كل مشورتك ...

حسب كل ما فى قلبك وما فى فكرك ، يعطيك الرب ! هذا أعظم ما يطلبه الإنسان ، وأقوى مما يتوقعه . ولكن هل هذا الأمر على الإطلاق ، أم له شروط ؟ أنظر:

يعطيك الرب حسب قلبك ، بشرط أن يكون قلبك مع الله ، نقياً .

فمن غير المعقول ، أن يكون قلبك مملوءاً من الشهوات الخاطئة والمشاعر الرديئة ، ثم يغطيك الرب حسب قلبك !! ومن غير المعقول أيضاً ، أن يتمم الله كل مشورتك ، إن كانت مشورتك خاطئة ولا

توافق مشيئة الله ولا حسن تدبيره !!

إن الله يعطيك حسب قلبك ، إن كنت تطلب ملكوت الله و بره . أما إن كان قلبك متعلقاً بالعالميات والماديات أو بالخطية ، فإن البركة التي يقولها هنا هذا المزمور تكون بعيدة عنك ، ولا يعطيك الله حسب قلبك ...

إذن فليكن قلبك طاهراً ، وحينئذ يعطيك الرب حسب قلبك . ولتكن هذه العبارة فى المزمور دعوة لك إلى نقاوة القلب .

وفى طلباتك الطاهرة ، تمسك بهذه الآية كوعد من وعود الله ، وحاججه بها . قل له : أعطنى يارب حسب قلبى ، فهكذا وعدت ، مادام قلبى يحبك ، وتمم لى ما فى ذهنى من مشورات مادامت توافق مشيئتك ، وإلا يارب فلتكن مشيئتك .

على أية الحالات ، إنها عبارة معزية ، حينما يقول الروح لمن يصلى وهو فى شدة : يعطيك الرب حسب قلبك ، و يتمم كل مشورتك .

هذه العبارة سمعتها حنه أم صموئيل ، وهى بعد عاقر ، حينما كانت تصلى وهى باكية وصائمة ومرة النفس . فقال لها عالى الكاهن « إذهبى بسلام . وإله اسرائيل يعطيك سؤلك الذى سألته من لدنه »

(١صم١ : ١٧) فخرجت متعزية ، وآمنت بالكلمة ، وتركت حزنها ، وفضت صومها ، وأكلت .

إنها كلمة عزاء ، ما أجمل أن تقولها لكل من هو فى شدة . وما أجمل أن يصليها الأب الكاهن على رأس من يأتيه طالباً مراحم الله . ثم يقولها له ، لكى يسمعها بفمه و يتعزى ...

إنها عبارة معزية . ولكن لكى يكون العزاء حقيقياً ، إسمع النصيحة :

إلى جوار عبارة « يعطيك الرب حسب قلبك » ضع قول الكتاب :

« تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك » (تث ٦ : ٥) .

فإن كنت تحب الله من كل قلبك ، وتحب طرقه ، وتحب وصاياه ، حينئذ سيعطيك الله حسب قلبك ، وسيكون الله ساكناً فى قلبك .

أما إن كان قلبك بعيداً عن الرب ، وإن كنت تطلب طلباً خاطئاً ، أو ليس حسب مشيئة الرب ، فإن ملائكة تصلى من أجلك ، لكى ينير الله بصيرتك ، و يفهمك طرقه . وكما يقول الحكيم « توجد

طريق تبدو للإنسان مستقيمة ، وعاقبتها طرق الموت » (أم١٤ : ١٢) . حقاً إن المزمور يطلب من أجلك أن « يتمم الله كل مشورتك » . ولكن إلى جواره نضع قول الكتاب « فى قلب الإنسان أفكار كثيرة . لكن مشورة الرب هى تثبت » (أم١٩ : ٢١) .

إن عبارة « يعطيك الرب حسب قلبك » تذكرنا بقول السيد المسيح لتلاميذه القديسين « إن ثبتم فىّ ، وثبت كلامى فيكم ، تطلبون ما تريدون فيكون لكم » (يو١٥ : ٧) .

إذن هذا الثبات فى الرب وفى وصاياه ، شرط للإستجابة . فالإنسان وهو ثابت فى الرب ، لا يطلب إلا ما يرضى الرب » ... إنها دعوة إذن أن ننق قلوبنا قبل الصلاة ، لكيلا نطلب إلا ما يرضى الله ، فيعطينا الرب حسب قلوبنا .

إنها وعد من الله ، ويلزمها أيضاً إيمان فى قلوبنا .

وكما يقول الكتاب « كل شىء مستطاع للمؤمن » (مر ٩ : ٢٣)

بهذا الإيمان نصلى ، وبه نستفيد من الدعاء الذى فى المزمور .

إنها كلمات معزية ، كان لها مفعولها فى قلب داود المؤمن ، فقال :

نعترف لك يارب بخلاصك

وباسم إلهنا نسمو

نعترف لك ، معناها نشكرك ، اى نعترف بجميلك وحنوك وعملك الطيب معنا .

داود سمع وعود الرب ، وآمن بها ، و بدأ يشكره عليها .

يشكر الرب على ما سوف يفعله ، كأنه قد فعله ...

نعترف لك يارب بخلاصك . مادمت قلت أنك سترسل عوناً من قدسك ، ومن صهيون تعضدنا ، إذن يحسن بى أن أغنى بهذا الخلاص وأشكرك عليه ، وأقول « باركى يا نفسى الرب ، ولا تنسى جميع إحساناته » (مز١٠٣ : ٢) .

جميل فى داود ، إنه فى عمق إيمانه بالإستجابة وتأكده منها ، يحول الصلاة إلى شكر، كأن كل شيء قد تم ...

إنه يطلب ، وفى إيمان يشعر أن الله قد أعطاه ما قد طلبه ، فيشكره فى نفس صلاة الطلب . وكثير من مزامير داود من هذا النوع ...

فى المزمور السادس مثلاً ، يبدأ بقوله « يارب لا تبكتنى بغضبك ... إرحمنى يارب فإنى ضعيف ... عد ونج نفسى ، واحينى من أجل رحمتك » . ثم ما يلبث أن يشعر باستجابة صلاته ، فيقول فى

نهاية المزمور « إبعدوا عني يا جميع فاعلي الإثم . لأن الرب قد سمع صوت بكائي . الرب سمع تضرعي . الرب لصلاتي قبل ... » .

إنه من نوع أبينا يعقوب الذي يمسك بالرب ، ولا يتركه حتى يباركه و يعطيه ما يطلب . وحينما يطمئن قلبه ، يقول له « نعترف لك يارب بخلاصك » ...

نعترف يارب أنك خلصتنا ، وأرحت قلوبنا ، وطيبت خاطرنا ، وأنقذتنا من مشاكلنا . وهنا نرى أن داود لم يكتف بالشكر على الخلاص ، إنما اتسع في آماله فقال :

وباسم إلهنا ننمو

كان يطلب مجرد الخلاص . أما وقد شعر بالإيمان أنه قد نال هذا الخلاص ، فقد انتقل إلى ما هو أبعد ... إلى النمو والإزدياد . فقال : و باسم إلهنا ننمو.

من أسباب اطمئنان داود ، أن إسم الله على شفتيه باستمرار.

في أول المزمور يعزي نفسه بقوله « ينصرك إسم إله يعقوب » . وهنا يقول « باسم إلهنا ننمو» . ثم يقول بعد ذلك « هؤلاء بمركبات ، وهؤلاء بخيل . ونحن باسم الرب إلهنا ننمو» . حقاً إن إسم الرب ، يشعر الإنسان بأن قوة إلى جواره ، تحميه وتنقذه ، فيطمئن ... و يثق أنه

ليس فقط من الناحية السلبية يخلص من متاعبه . وإنما من الناحية الإيجابية أيضاً سينمو. و يكرر عبارة (النمو) مرتين فى نفس المزمور...

ليتك فى صلاتك تذكر هذا النمو، وتحاسب نفسك عليه .

ليس المطلوب منك أن تحيا فقط فى حياة الفضيلة ، إنما أن تنمو فيها أيضاً . تنمو فى ثمار الروح . تنمو فى محبتك لله والناس . وكلما تنمو فى القداسة ، تنمو أيضاً فى الإتضاع . وتقول « لست أحسب أنى أدركت أو نلت شيئاً ... لكننى أسعى لعلى أدرك » (فى ٣ : ١٢) .

وإن لم يكن لك هذا النمو ، بكّت نفسك على هذا ، وجاهد بكل قوتك . و بكل عمل النعمة فيك أن « تمتد إلى ما هو قدام » حسب قول الرسول (فى ٣ : ١٣) .

وإن لم تستطع أن تنمو ، فعلى الأقل قف حيث أنت ، واحتفظ بما عندك ، وحاذر أن ترجع إلى الوراء ، وتترك محبتك الأولى ...

إن داود الذى قال « باسم إلهنا ننمو » ، كان يعرف تماماً أن هذا النمو يحتاج هو أيضاً إلى معونة إلهية ، فقال :

يكمل الرب كل سؤالك

إنه الآن ينتقل من الماضى والحاضر ، و يدخل فى تطلعات المستقبل وآماله بالنسبة إلى المستقبل قد وضعها فى يد الله ...

الله الذى أعطى ، سيعطى الكل . كما أعطاه جزءاً من سؤل قلبه ، ووعده بالخلاص ، سيكمل له الباقى ، فينال كل ما سأل الله فيه . وهنا يبدو فيض العطية وكمالها .

أحياناً يعطينا الله كل ما نطلبه دفعة واحدة ، حسب وفرة غناه وكرمه ومحبته . وأحياناً يعطينا جزءاً جزءاً ، لكى نستمر فى الإلتصاق به ، ونستمر فى الطلبة . وكلما ينال القلب شيئاً من الله ، نقول له « يكمل الرب كل سؤالك » .

قد تطلب من الله التوبة ، و يعطيك إياها . ولكن الملائكة تصلى من أجلك « يكمل الرب كل سؤالك » ، فليست التوبة كل شىء ... هناك النقاوة والقداسة . وفى القداسة تسمع أيضاً نفس الطلبة « يكمل الرب ... » لأن الطريق مايزال طويلاً أمامك ، فأنت مطالب بالكمال « كونوا كاملين ، كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل » . والكمال ليس له حدود . لذلك تستمر فى السؤال ، و يكمل الرب كل سؤالك .

وداود لم يطلب الخلاص فقط ، وإنما طلب النمو أيضاً ، النمو الموصل إلى الكمال . وقال لقلبه عن هذه الطلبة ، أو قال له قلبه « يكمل الرب كل سؤالك » .

وفى غمرة الفرح بوعود الرب ، قال :

الآن علمت أن الرب قد خلص مسيحه

واستجاب له من سماء قدسه

« الآن علمت » : الآن ، اثناء الصلاة ، وهو مازال واقفاً يطلب ...

عرف وهو واقف يصلى ، أن الرب قد خلصه ، خلص مسيحه ، وأنه استجاب له . لذلك اعترف لله بخلاصه .

ولعلنا نسأل : كيف علم داود بهذه الإستجابة ؟ لعله أحسها فى قلبه . لعله عرفها بإيمانه . أو أن الله الذى استجاب ، أشعره بهذه الإستجابة . أوحى له بها ، أفهمه إياها ... أو أن داود كانت له « الحواس المدربة » التى يرى بها ما لا يرى ، أو الإيمان الذى هو « الإيقان بأمور لا ترى » (عب ١١ : ١) .

وهذا يشعرنا أن الصلاة ليست مجرد كلام ، بل سماع أيضاً .

أنت تكلم الله فى صلاتك . ثم بقلبك ، وليس بأذنيك ، تسمع صوته مجيباً . وقد كان قديسنا داود متدرباً على هذا السماع . لذلك

يقول فى أحد مزاميره « إنى أسمع ما يتكلم به الرب الإله ، لأنه يتكلم بالسلام لشعبه » (مز٨٤) .

ولعل هذا السماع ، يحتاج إلى طول أناة فى الصلاة ... وللأسف فإن البعض قد يكلم الرب فى صلاته ، ثم ينصرف بسرعة قبل أن يسمع ما يتكلم به الرب الإله ... وقد يتكلم الرب . ولكن ليس كل أحد له أذن للسمع ، ليسمع ...

الآن علمت أن الرب قد خلص مسيحه .

وكلمة مسيح ، لها ثلاثة معانٍ :

١ ـ مسيح الرب ، أى الذى مسح لخدمة الرب ، كبعض الملوك مثلاً . وداود كان مسيحاً للرب ، مسحه صموئيل النبى بالدهن المقدس (١صم١٦) .

٢ ـ المسيح ، وهو السيد المسيح . والألف واللام يميزانه عن باقى المسحاء . وقد قال عنه الوحى فى سفر أشعياء « روح السيد الرب علىّ ، لأنه مسحنى لأبشر المساكين ، لأعصب منكسرى القلوب ... » (أش٦١ : ١) . وقد مسح السيد المسيح ملكاً ونبياً وكاهناً . وقيل أنه مسح بزيت الإبتهاج أكثر من رفقائه (عب١ : ٩) .

٣ ـ كل إنسان مسيحى ، قد مسح بزيت الميرون ، وصار مقدساً للرب ، ومسكناً لروحه القدوس . فهو من الناحية الروحية ـ وليس من الناحية اللفظية ـ ممسوحاً للرب . ويمكن أن تأخذ عبارة المزمور على نفسك « الرب خلص مسيحه » أى الذى مسحه بالميرون بعد خروجه من المعمودية ، فصار له ...

الآن علمت أن الرب خلص مسيحه ، أى كتب له صك الخلاص .

واستجاب له من سماء قدسه .

فهذا الذى يستجيب ، هو « الساكن فى الأعالى ، والناظر إلى المتواضعات » ينظر إلى عمل يديه ، ويقيم المسكين من التراب ، والبائس من المزبلة » . إنه يخلص باستمرار ، لأنه يريد أن الجميع يخلصون ... وقد أدرك المرتل هذه الحقيقة فقال « من أجل شقاء المساكين وتنهد البائسين ، الآن أقوم ـ يقول الرب ـ أصنع الخلاص علانية » (مز١١) .

هو فى سمائه ، ولكنه ليس بعيداً عنا ، بل « قريب هو الرب من منسحق القلب » ، يستجيب لهم من سماء قدسه ، هذه السماء التى يتطلعون إليها كلما يقولون « أبانا الذى فى السموات » . وكيف يستجيب لهم ؟ يقول المرتل :

بجبروت خلاص يمينه

إنه الإله القوى الجبار، الغالب فى الحروب ، يخلص بجبروته . لذلك يقول له المصلى ، فى أحد مزامير الساعة الثالثة أيضاً « تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار... استله وانجح واملك » (مز ٤٥) .

ولهذا نتغنى دائماً بقوة الله القادر على كل شىء . وفى الثلاثة تقديسات نقول « قدوس الله ، قدوس القوى ... » . إننا نعتمد على قوة الله هذه ، ونغلب بها . ونقول « غير المستطاع عند الناس ، مستطاع عند الله » ...

ولكن جبروت الله ، هو للخلاص ... بالنسبة إلى أولاده ...

إنه ليس كأهل العالم الذين يستخدمون الجبروت للإخافة أو للإهلاك ، بل جبروته للخلاص . بهذا الجبروت شق البحر الأحمر، وخلص من العبودية شعباً مسكيناً . وبهذا الجبروت سد أفواه الأسود فى الجب ، وخلص دانيال . بهذا الجبروت انتهر البحر فهدأت أمواجه و وخلص سفينة تلاميذه من العاصفة ... و يعوزنى الوقت إن أوردنا أمثلة جبروت الرب فى خلاصه ، حينما كان يخلص بذراع حصينة .

هـذا الخلاص بالنسبة إلى أولاد الله ، قد يكون ضربة لمقاوميهم . كما ضـرب الرب عماليق ، وجيش سنحاريب ، ليخلص ... اما داود فيتحدث هنا عن جبروت الله بالنسبة إليه : إنه جبروت خلاص ...

و ينسب الخلاص إلى يمين الرب ، إلى يده القوية .

لذلك فهو يعترف بإنقاذ الرب له فى (مز ١١٧) و يقول « يمين الرب صنعت قوة ، يمين الرب رفعتنى . يمين الرب صنعت قوة ، فلن أموت بعد بل أحيا ، وأحدث بأعمال الرب » ... يد الله تدخل فى الموضوع ، بقوة ، فتصنع خلاصاً ، بجبروت ، هو جبروت خلاص يمينه .

داود يرى قوة العدو الماثلة أمامه ، و يرى أيضاً يمين الرب ، فيقول :



« هؤلاء بمركبات ، وهؤلاء بخيل ، ونحن باسم الرب إلهنا ننمو» .

ماذا تكون قوة المركبات والخيل ، أمام اسم الرب ؟! لا شيء .

يذكرنا هذا بقول داود لجليات الجبار « أنت تأتى إلىّ بسيف

ورمح وبترس . وأنا آتى إليك بإسم رب الجنود » (١صم١٧ : ٤٥) . نعم ، ما قيمة كل هذه الأسلحة ، السيف والرمح والترس ، أمام إسم رب الجنود ، وجبروت خلاص يمينه ؟!

لقد خاف جيحزى تلميذ أليشع النبى ، لما رأى « خيلاً ومركبات وجيشاً ثقيلاً » يحيط بالمدينة . ولكن النبى العظيم طمأن تلميذه بقوله « لا تخف ، لأن الذين معنا أكثر من الذين معهم . وصلى أليشع ففتح الرب عينى الغلام « فأبصر وإذا الجبل مملوء خيلاً ومركبات نار حول أليشع » (٢مل٦ : ١٤-١٧) . إنها القوات المقدسة التى أرسلها الرب للحماية ، إذ أرسل له عوناً من قدسه .

داود رجل الخبرات ، لم يخف من خيل ومركبات العدو .

قد ترمز الخيل والمركبات ، إلى الشيطان وكل قواته .

لأن أعداءنا الشياطين أقوياء . والشيطان مثل أسد يزأر ، ويجول ملتمساً من يبتلعه هو . إنه عنيف وقوى . وفى قصة أيوب الصديق ، أنزل ناراً فحرقت الغنم والغلمان ، وريحاً شديدة صدمت زوايا البيت فسقط (أى ١) . إنه ملاك ، فقد طهارته ، ولكنه لم يفقد قوته . وفى الأيام الأخيرة سيعين « المقاوم والمرتفع على كل ما يدعى إلهاً » « بعمل الشيطان ، بكل قوة وبآيات وعجائب كاذبة » (٢تس٢ : ٩) .

ولكننا ننظر إلى كل قوة الشياطين ونقول « هؤلاء بمركبات وهؤلاء بخيل ، ونحن باسم الرب إلهنا ننمو» .

البعض يخافون المركبات والخيل ، لأن إسم الرب ليس معهم .

يقفون وحدهم فى القتال ، ولا يأخذون إسم الرب معهم . ولكن الكتاب يعلمنا أن يشوع كان يحارب ، وموسى كان يرفع يديه إلى الله يصلى . وقد كسب يشوع الحرب بقوة هاتين اليدين المرفوعتين ، إذ بهما دخل الله إلى ميدان الحرب « والحرب للرب » (١صم١٧ : ٤٧) .

لا يجوز أن ننظر إلى قوة العدو ، وننسى قوة الله .

لا تنظر فقط إلى جليات ، دون أن تذكر إسم رب الجنود . ولا تنظر إلى البحر الأحمر ، وتنسى عصا موسى . ولا تفكر فقط فى البرية القفرة ، دون أن تتأمل السحابة التى تظللك نهاراً ، وعمود النار الذى يرشدك ليلاً . لا يرعبك الجب المملوء بالأسود الجائعة ، إنما تأمل ملاك الله وهو يسد أفواه الأسود . إن المزمور حينما يقول « عجيبة هى أهوال البحر» ، يقول بعدها مباشرة « الساكن فى الأعالى هو أقدر» (مز٩٢) .

إن أليشع النبى مازال يصلى صلاته المشهورة : إفتح يارب عينى

لغلام ليرى أن الذى معنا ـ أى الملائكة ـ أكثر... وموسى النبى مازال واقفاً بعصاه، يقول للخائفين «لا تخافوا . قفوا وانظروا خلاص الرب ... الرب يقاتل عنكم، وأنتم تصمتون» (خر١٤ : ١٤) .

الذين لا يملكون خيلاً ولا مركبات ، يملكون إسم الرب .

الرب الذى «إختار ضعفاء العالم ليخزى بهم الأقوياء» (١كو١ : ٢٧) . إختار حصاة داود الملساء ، ليخزى بها سيف ورمح جليات . إختار الصيادين الجهلاء ، ليخزى بهم كل حكمة وفلسفة الأمم ...

تذكر أن قوتك ليست فى الخيل والمركبات ، إنما فى الله نفسه . لذلك قل باستمرار مع المرتل :

قوتى وتسبحتى هو الرب ، وقد صار لى خلاصاً .

ماذا كانت قوة القديس مارمرقس ، حينما دخل ليكرز فى أرض مصر ؟!

ما أكثر الخيل والمركبات التى وقفت ضده : كانت أمامه آلهة مصر الفرعونية برئاسة رع ، وآلهة اليونان التى دخلت أيام الإسكندر والبطالمة وكبيرهم الإله زيوس ، وآلهة الرومان التى دخلت أيام أكتافيوس قيصر ، وكبيرهم چوبتر... وكانت هناك أيضاً الديانة اليهودية المنتشرة فى حيين من أحياء الإسكندرية .

ووقفت أمام مارمرقس أيضاً الفلسفة الوثنية ، وقوة الفلاسفة وإقناعهم ، ومدرسة الإسكندرية الوثنية ، ومكتبة الإسكندرية التى كانت تضم مئات الألوف من الكتب ... وكانت هناك أيضاً السلطة الرومانية بكل قوتها وعنفها وحمايتها للوثنية ... حقاً هؤلاء بمركبات ، وهؤلاء بخيل ... ومع ذلك أدى مارمرقس رسالته ، ونشر الكلمة ، ووقف يقول « ونحن باسم الرب إلهنا ننمو » .

مثال آخر هو أرميا النبى ، الذى أرسله الله على الرغم من صغر سنه ، ليشهد بكلمة الحق « لملوك يهوذا ، ولرؤسائها ، ولكهنتها ، ولشعب الأرض » (أر٨ : ١٨) فيحاربونه و يقف أمامهم . ولكن هؤلاء يارب بمركبات ، وهؤلاء بخيل ، وأنا لا أعرف أن اتكلم لأنى ولد (أر١ : ٦) . فقال له الرب : لا تقل إنى ولد ... لا تخف من وجوههم ... هأنذا قد جعلتك اليوم مدينة حصينة وعمود جديد وأسوار نحاس على كل الأرض » (أر١) . وهكذا شهد أرميا للرب وأمامه « نحن باسم الرب ننمو » ...

هكذا أنت أيضاً لا تخف من كل قوة العدو. فالرب يسندك .

إن الشياطين إن رأتك مرتعباً ، تهجم عليك ، وتعرف أنك قد

وقعت « فريسة لأسنانهم » . أما إن رأتك قوى القلب ، فإنها تخاف الإيمان الذى فيك وقوة الله التى معك .

وبهذه القوة ، وبهذا الإيمان ، تنتصر وتقول :



حقاً « يستجيب لك الرب فى يوم شدتك ، ينصرك إسم إله يعقوب .

العجيب أن داود يقول هذا الكلام ، وهو واقف بعد يصلى و يطلب . ولكنه الإيمان العميق بالإستجابة . يراها أمامه ، موقناً من عمل الله . فلا يتكلم عما يحدث بأسلوب المستقبل ، إنما بأسلوب الماضى ، كأنه قد حدث فعلاً !

وعبارة « قمنا واستقمنا » معناها أننا كنا واقعين قبلاً ...

أى أن الوضع قد انعكس . نحن الذين كنا ساقطين ، قمنا . وأما الأعداء الذين انتصروا أولاً فقد عثروا وسقطوا ...

هذا هو أسلوب الحياة الذى يحياه أولاد الله . تقابلهم أولاً الحروب والضيقات والعثرات ، و يذوقون الألم والضيق والشدة . وقد يسقطون أحياناً ، لأن « الصديق يسقط سبع مرات و يقوم » . وكما قال داود النبى « مراراً كثيرة حاربونى منذ صباى ... مراراً كثيرة

قاتلونى منذ شبابى ... على ظهرى جلدنى الخطاة ، وأطالوا إثمهم » .
ولكنه يعلق على ذلك بقوله « ولكنهم لم يقدروا علىّ » (مز١٢٨) .

المهم إذن فى النهاية ، نهاية حرب المؤمن مع عدو الخير.
وفى ذلك يقول الكتاب « أنظروا إلى نهاية سيرتهم وتمثلوا بإيمانهم » (عب١٣ : ٧) .

والمشكلة أيضاً لا تنظر إلى أوائلها ، إنما إلى أواخرها .
لا تنظر إلى عار الجلجثة فتيأس . إنما أنظر إلى النهاية ، إلى أمجاد القيامة ، وأمجاد الصعود ، وأمجاد الجلوس عن يمين الآب ، وأمجاد المجىء الثانى على السحاب بقوة ومجد عظيم .

وكلما تقابلك مشكلة ، قل « ربنا موجود » . وقل « مسيرها تنتهى » .
إن المشكلة لا تستمر إلى الأبد . لها مدى زمنى تنتهى فيه ... آلام أيوب الصديق ، على الرغم من عنفها ، جاء الوقت الذى انتهت فيه « ورد الرب سبى أيوب » (أى٤٢) . وقال « ونحن قمنا واستقمنا » .

أما أعداؤك الذين عثروا وسقطوا ، فهم الشياطين ، الذين يحسدون كل نعم الله إليك ، و يأتونك بمركبات وخيل ليسقطوك .
ولكن الكتاب يقول « أبصرت الشيطان ساقطاً مثل البرق من

السماء » (يو ١٠ : ١٨) .

ويمكن أن تأخذ عبارة « عثروا وسقطوا » عن المشاكل والشدائد .

كل المشاكل المحيطة بك ، قد سقطت وانتهت . الرب قد حلها . وأنت قمت واستقمت . قمت من تحت هذا النير الثقيل ، الذى أحنى ظهرك ، ولكنك استقمت أخيراً ، حينما استجبت لحبيبك القائل « تعالوا إلىّ يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال وأنا أريحكم » .

كل هذا رآه المرتل بالإيمان وهو يصلى . ثم التفت إلى الواقع وقال :

يارب خلص ملكك ، واستجب لنا يوم ندعوك

نحن نرى خلاصك ، ونؤمن به ، ونشكرك عليه ... ولكن هذا لا يمنع أن نصلى من أجل إتمامه عملياً ، حتى ننتقل من الإيمان إلى العيان .

ولهذا نذكرك يارب بما سبق أن قلناه « خلص ملكك . واستجب لنا يوم ندعوك » ، « و يكون كل من يدعو بإسم الرب يخلص » .

هذه بعض التأملات فى مزمور « يستجيب لك الرب » .

وموضوعها طويل ، نكمله فى تأملات مزامير أخرى بمشيئة لرب .



رقم الإيداع بدار الكتب ٤٣٣٧ / ١٩٨١





بسم الآب والابن والروح القدس
الإله الواحد آمين

هذا المزمور :

هو مزمور دعاء وبركة وعزاء ، يقدمه الكتاب لكل من هو فى ضيقة وشدة ، يقول له فيه :

يستجيب لك الرب
فى يوم شدتك

وهو أيضاً مزمور مملوء بالإيمان ، تتحول فيه الطلبة إلى شكر ، فى ثقة بعمل الرب واستجابته .

ليتك تقرأه وتحفظه وتصليه ، وتعزى به غيرك .

شنوده الثالث





